الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف –المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي :...../2018

رقم التسجيل : 1333058000

الحركة الوطنية التونسية من 1919 إلى غاية 1945

الحزب الدستوري الحر القديم والجديد- أنموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في :

شعبة: تاريخ **تخصص: تاريخ معاصر**

إعداد الطالبة: **إشراف الدكتور:**

حريزي ابتسام تاحي إسماعيل

السنة الجامعية : 1438هـ/1439هـ-2017م/2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله أولا حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم

سلطانه على توفيقه لي في انجاز هذا البحث .

وأتوجه بخالص الشكر إلى كل من قدم لي يد العون وساعدني في إعداده وخاصّة

*الأستاذ المشرف الدكتور" **تاحي إسماعيل**" الذي كان لي نعم العون ولم يبخل عليا*

بنصائحه وتوجيهاته القيمة.

*أشكر كّل من تحمّل معي متاعب الكتابة والطّبع وأخصّ بالذّكر خالتي "**حريزي***

***فاطمة**" الّتي كانت السّند القوي.*

وأشكر كلّ قريب وبعيد ساهم في إثراء هذا البحث.

الإهداء

أهدي ثمرة عملي هذا:

إلى أغلى من في الكون إلى نبع الحنان أمي وأبي

إلى جدي و جدتي العزيزين

إلى إخوتي الأعزاء الذين بهم تحلو الحياة

إلى كل أصدقائي وأحبابي

إلى شهداء الثورة الجزائرية شهداء وطني الذين بدمائهم الزكية حققوا النصر والحرية

قائمة المختصرات:

(د.ط) : دون طبعة

(د.م) : دون مكان

(د.ت) : دون تاريخ

الح ع 2: الحرب العالمية الثانية

مقدمة

مقدمة:

تعرّضت دول المغرب العربي للاحتلال الفرنسي, وكانت تونس من بين هذه الدول التّي انتهكت حقوقها, ففرضت عليها الحماية سنة 1881م, وهمّشت كامل حقوقها الشرعيّة, واثر ذلك انتهجت فرنسا نفس السياسة والأساليب التّي اعتمدتها في الجزائر من قمع وتعذيب وتشريد, لكنّ الشعب التونسي لم يرضخ لسيطرتها وراح يقام, فلجا إلى استعمال أسلوبين من الكفاح, فالأول: الكفاح المسلّح وتمثّل في مجموعة من المقاومات الشعبيّة شملت مناطق عديدة من الوطن, غير أنّ هذا الأسلوب فشل وحلّ محلّه الكفاح السياسي الّذي ظهر بشكل منظّم خاصّة بعد الحرب العالمية الأولى, ومن خلاله بدأت تظهر بوادر الحركة الوطنيّة التونسيّة على الساحة السياسيّة والّتي تبلورت في مجموعة من الأحزاب والتنظيمات السياسيّة, فتمّ نشر الوعي الوطني بين الشباب التونسي للدّفاع عن حقوقهم والعمل على طرد المستعمر الفرنسي من البلاد التونسيّة وتحقيق مطالبها. ومن هذا المنطلق يأتي موضوعنا الموسم ب: الحركة الوطنية التونسية من 1919إلى 1945.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب عديدة دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع من بينها:

-أهميّة الموضوع والرّغبة في التعرّف على الحركة الوطنيّة التونسيّة وأسبابها وأبرز روادها.

-التعرّف على الدوافع الّتي أدّت بفرنسا إلى احتلال تونس.

-إبراز حجم معاناة الشعب التونسي نتيجة القمع الفرنسي لها.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكاليّة موضوعنا حول الحركة الوطنيّة التونسيّة والمراحل الّتي مرّت بها أثناء النّضال ضدّ المستعمر بين سنتي 1919-1945م وأهم تيّاراتها وأحزابها الوطنيّة وكيف

تعامل الاستعمار الفرنسي معها وتندرج تحت هذا الإشكال المحوري جملة من الأسئلة الفرعيّة أهمّها:

-ما هي ظروف فرض الحماية الفرنسية على تونس؟ وكيف واجه الوطنيون التونسيون هذا النظام؟

-ما هي أهمّ الأحزاب الوطنية التونسية؟ وكيف كان دور الحزب الدستوري في تصدّر المشهد النّضالي التونسي؟ ما هي أهم الشخصيات البارزة في هذا الحزب؟

-ما هي أهم مراحل النّضال لدى الحزب الدستوري؟

-إلى أيّ مدى تكيفت الحركة الوطنيّة التونسيّة مع ظروف الحرب العالميّة الثانيّة؟ أو كيف كان تأثير الحرب العالميّة الثانيّة على مسار الحركة الوطنيّة التونسيّة؟.

حدود البحث:

تنحصر الفترة الزمنيّة لبحثنا بين سنة 1919-1945م حيث شكّل التّاريخ الأوّل حدثا عالميّا, كان له تأثير كبير وقويّ على الحركات الوطنيّة العربيّة منها وحتّى العالميّة, كما شكّل بداية لبحثنا, أمّا بالنّسبة للتّاريخ الثاني فتمثّل في حدث عالمي بارز وهو نهاية الحرب العالميّة الثانيّة, ونهاية مرحلة من مراحل النضال الوطني في تونس والعديد من المناطق في العالم.

منهج البحث:

اعتمدنا في موضوعنا هذا على المنهج التّاريخي الوصفي والمنهج التّحليلي .

المنهج التّاريخي الوصفي من خلال استعراض أهّم الأحداث التاريخيّة والسياسيّة الّتي مرّت بها الحركة الوطنيّة التونسيّة أثناء تعرّضها للاستعمار الفرنسي.

أمّا المنهج التّحليلي من خلال تحليل تلك الأحداث والوقائع و إبراز أهم ظروف الحركة الوطنيّة التونسيّة ونشاطاتها.

خطة البحث:

ولتكون الدّراسة أكثر تناسقا و تنظيما قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول رئيسيّة وكلّ فصل قسّمناه إلى مباحث وكلّ مبحث إلى عناصر, ثمّ أنهيناه بخاتمة ومجموعة من الملاحق وقائمة البيبليوغرافيا وهي كالأتي:

أولا في المقدمة تطرقنا فيها إلى التعريف بموضوع البحث وأسباب اختياره ثم إشكاليّة البحث الرئيسيّة يليها الإشكاليات الفرعيّة وحدود البحث وأهم المناهج المعتمدة في الدراسة مع ذكر الصعوبات الّتي واجهتنا في البحث ثم أهم المصادر و المراجع الّتي تمّ الاعتماد عليها وساعدتنا في انجاز الموضوع.

أمّا في الفصل التمهيدي فتناولنا فيه نظام الحماية الفرنسيّة على تونس واهم نتائجها الدوليّة ثم ردود فعل الوطنيين التونسيين على هذا النظام.

جاء الفصل الأول تحت عنوان: الحركة الوطنيّة التونسيّة والحزب الدستوري الحر

قسّمناه إلى مبحثين: تناولنا في المبحث الأول تأسيس الحزب الدستوري الحر ويندرج تحته عنصرين, حيث أنّ العنصر الأول: ظروف تأسيس الحزب الدستوري الحر

أمّا العنصر الثاني: نشاط الحزب و دور الثعالبي فيه

وتوصّلنا في المبحث الثاني إلى المواقف الوطنيّة والفرنسية من الحزب الدستوري الحر وفيه تطرّقنا إلى ثلاث عناصر وهي:

العنصر الأول: عالجنا فيه موقف الباي الناصر ومساندته للحركة الوطنيّة التونسيّة

العنصر الثاني: تناولنا فيه موقف الطرق الصوفية من الحزب

أمّا العنصر الثالث: وفيه تناولنا موقف الفرنسيين من الحزب والأساليب القمعيّة التي اعتمدتها سلطة الحماية.

الفصل الثاني: الحزب الدستوري الجديد من 1934-1939م

تناولنا فيه مبحثين:

المبحث الأول تعرّضنا فيه لتأسيس الحزب الدستوري الجديد

المبحث الثاني تناولنا فيه نشاط الحزب الدستوري الجديد ودور بورقيبة فيه

أما الفصل الثالث: توصّلنا فيه إلى الحركة الوطنيّة خلال الحرب العالميّة الثانيّة

وقسّمناه إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول وتناولنا فيه دور التونسيين في الحرب العالميّة الثانيّة والذي بدوره ينقسم إلى عنصرين:

العنصر الأول: عالجنا فيه نشاط الحزب الدستوري الجديد خلال الحرب العالميّة الثانيّة

العنصر الثاني: درسنا فيه دور بورقيبة والمنصف باي أثناء فترة الحرب العالميّة الثانيّة

ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى موقف الفرنسيين من الحركة الوطنيّة التونسيّة خلال الحرب العالميّة الثانيّة

وأخيرا تناولنا في المبحث الثالث أهم نتائج الحرب على العالم والحركة الوطنية التونسية أمّا بالنسبة للخاتمة كانت عبارة على جملة من الاستنتاجات توصلنا إليها خلال دراستنا لهذا الموضوع.

مصادر ومراجع البحث:

اعتمدنا أثناء دراستنا لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

-هذه تونس للحبيب ثامر اعتمدنا عليه في دراسة تأسيس الحزب الدستوري الحر كذلك الحزب الجديد ودور بورقيبة خلال الحرب العالميّة الثانيّة.

-بورقيبة سيرة شبه محرمة لمؤلفه الصافي سعيد والذي ساعدنا في إبراز دور بورقيبة في الحزب الدستوري الجديد.

ومن بين المراجع الّتي استعنا بها نذكر أهمها:

-تاريخ تونس المعاصر للمؤلف احمد القصّاب والّذي اعتمدنا عليه أثناء للحزب الدستوري بفرعيه أيضا في دراسة موقف التونسيين في الحرب العالميّة الثانيّة.

-إضافة إلى كتاب تونس عبر التاريخ الحركة الوطنيّة ودولة الاستقلال لمؤلفه خليفة الشاطر.

صعوبات البحث:

أيّ بحث يتطلب جهد فكري ومادي, وبالتالي هناك صعوبات وعراقيل جمة تواجه الباحث أثناء إجراء بحثه, ومن الصعوبات التي واجهتنا خلال دراستنا لهذا الموضوع ما يلي:

-صعوبة الحصول على المادة العلمية.

وأخيرا نرجو أن نكون قد وفّقنا في إعداد هذا البحث.

مدخل تمهيدي:

1-نظـام الحمايـة الفرنسـية علـى تـونس 1881-1919

2- ردود الفعـــل الوطنيـــة التونســـية على نظام الحماية 1881

مدخل تمهيدي: بوادر الحركة الوطنية التونسية

1-نظام الحماية الفرنسية على تونس:

زحفت القوّات الفرنسيّة إلى تونس بعد احتلالها للجزائر سنة1830م, وقرّرت فرض الحماية عليها في 12ماي 1881م بناء على **معاهدة باردو** الّتي قدّمها القنصل الفرنسي **روستان لمحمد الصادق باي**[1] الّذي كان مجبرا على توقيعها, ونصّت هذه المعاهدة على اعتراف الصادق باي باحتلال القوّات الفرنسيّة لتونس,[2] أي حرّية فرنسا في احتلال المراكز الّتي تراها صالحة لاستتباب الأمن كذلك الاستيلاء على الإدارة المحلية التي تراها لازمة لأداء مهمّتها[3], إذ أبقت على جهاز الدولة التونسي التقليدي وخلقت جهاز دولة عصري[4]. فكانت تونس أوّل تجربة لنظام الحماية في تاريخ الاستعمار الفرنسي, فقد استهدف جول فيري أمرين: الأول تمثّل في إسكات المعارضة الدولية وذلك بحجة أن فرنسا لم تقض على كيان الدولة المحمية بالضّم , أمّا الثاني تمثّل في إقناع المعارضة الدّاخلية بأن الحكومة لن تتورّط في أعباء ماليّة جديدة لأنّ من مميّزات الحماية أنّها تحمّل الدولة المحميّة نفقات الاحتلال.[5]

وحتّى تتمكّن فرنسا من احتلال تونس قامت بإثارة مشكلة القبائل على الحدود التونسية الجزائريّة,[6] فقام **فيري** بإعلام البرلمان الفرنسي بحادث توغّل القبائل على الحدود التونسيّة, وعندما سمع باي تونس بالحادثة أصدر أمرا بالتّحقيق في ذلك, حيث اقترح معاقبة الجناة

---

[1]- **الصادق باي**: محمد الصادق بن حسين بن محمود باي, ولد في 7 فيفري 1813, ورث الحكم عن أخيه في 23 ديسمبر 1859م, هو الباي الثاني عشر من سلسلة الأسرة الحسينية الحاكمة في تونس سنة 1705م, دام حكمه 22سنة كاملة, امتاز بالخمول والميل إلى الترف دون حدود. ينظر, الشيباني بنبلغيث, الجيش التونسي في عهد الصادق باي (1859-1882), مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات, صفاقس, 1995م, ص 65.

[2]- رأفت الشيخ, تاريخ العرب المعاصر, (د.ط), عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, (د.م), 1996م, ص 141.

[3]- زاهر رياض, استعمار إفريقيا, (د.ط), معهد الدراسات, القاهرة, 1965م, ص 245.

[4]- صلاح العقاد,المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصر(الجزائر- تونس- المغرب الأقصى), مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, (د.ت), ص190.

[5]- الهادي التيمومي, كيف صار التونسيون تونسيين, (د.ط), دار علي الحامي, (د.م), (د.ت), ص 127.

[6]- شوقي عطا الله الجمل, تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر, ط 2, دار الزهراء للنشر والتوزيع, الرياض, 2002م, ص 175.

بإرسال قوّات تونسيّة لكي تحاسبهم على فعلتهم.[1]

وبعد توقيع معاهدة اتّفاقية الحماية في **قصر باردو** في 12ماي1881,أذاع الاستعمار الفرنسي بأنّ باي تونس قد أصبح حليفا لفرنسا.[2] ولكن قبول الباي لنقل سلطاته إلى الحكومة الفرنسيّة هو مجرّد تعهّد منه بإجراء أيّ إصلاح تعتبره الحكومة مفيدا, وهو لم يتخلّ عن سيادته الملكيّة, حيث أنّه احتفظ بحق وضع التّشريعات وسنّ القوانين ما دامت لا تخالف ما تتضمّنه وثيقة باردو.[3]

غير أنّ الشّعب التونسي لم يعترف بتوقيع محمد الصادق, حيث أنّ هذا الأخير قد صرّح بأنّ القوّات الفرنسيّة أجبرته على التّوقيع عليها,[4] وقد كان هدف فرنسا من كلّ هذا هو استغلال تونس والاستيلاء على اقتصادها وكلّ ما تملكه من ثروات,[5] لأنّ الدّوافع الاقتصاديّة والتجاريّة والماليّة و الإستراتيجيّة كانت وراء أطماعها في تونس.[6]

لقد حاولت السلطات الفرنسيّة إحلال اللّغة الفرنسيّة وثقافتها في تونس, وذلك من خلال إقصاء اللّغة العربيّة وثقافتها, وقد كرّست كّل جهودها لتحقيق هدفها, إضافة إلى أنّها اتّجهت في سياستها التعليمية منذ فرضها الحماية1881 م إلى محو الروح القوميّة وذلك بمحاربة اللغة العربيّة.[7]

لم تكتف السلطات الفرنسيّة بذلك, حيث أجبرت **علي باي** سنة 1883م على توقيع اتّفاقية مثلما فعلت مع **الصادق باي**, عرفت **باتفاقية المرسى** أبرمتها لإتمام سيطرتها على الشعب التونسي.[8]

---

[1]- محمد عصفور سليمان, الحماية الفرنسية على تونس عام 1881والموقف العثماني والأوروبي منها, مجلة ديالى,ع 56, العراق, 2012م, ص5.

[2]- أمين شاكر, شمال إفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل, (د.ط), دار المعارف, مصر, (د.ت), ص100.

[3]- عبد الكريم الفيلالي, التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير, ج 11, ط1, شركة ناس للطباعة, القاهرة, 2006م, ص224.

[4]- علال الفاسي, الحركات الاستقلالية في المغرب العربي, ط6, مؤسسة علال الفاسي, الدار البيضاء,2003م, ص45.

[5]- عبد المالك خلف التميمي, الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي- فلسطين- الخليج العربي) دراسة تاريخية مقارنة, (د.ط), عالم المعرفة, الكويت, 1990م, ص38.

[6]- محمد علي داهش, المغرب العربي المعاصر (الاستمرارية والتغيير), ط1, الدار العربية للموسوعات, بيروت, لبنان, 2014م, ص29.

[7]- محمد علي داهش, دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر, (د.ط), مكتبة الكتاب الأكاديمي, عمان, (د.ت), ص44.

[8]- حسن محمد جوهر, تونس, (د.ط), دار المعارف, مصر, 1961م, ص51.

وقد أقرّ فيها الباي وضع بلاده تحت الحماية الفرنسيّة, وخوّلت كافّة السلطات للمقيم العام الفرنسي, حيث أصبح يمثّل فرنسا في تونس وما على الباي إلاّ الالتزام بما يمليه عليه من أوامر دون مناقشتها لضمان الحصول على راتبه,[1]وكما ادّعت السلطات الفرنسيّة وللمرة الأولى في تاريخ الحماية أنّ للفرنسيين وخاصّة أفراد الجالية الفرنسيّة المقيمين بتونس حقّ مشاركة التّونسيين في المؤسسّات السياسيّة للدولة التونسيّة.[2]

جاء نصّ معاهدة المرسى الكبير مكمّلا لما نصّت عليه معاهدة باردو, وهذا يدل على السيطرة الفرنسيّة على تونس رغم إدّعاءاتها الكاذبة.[3]

ونصّ هذه المعاهدة (المرسى 1883) كالتّالي:

المادة الأولى: تكفل الباي بإدخال الإصلاحات الإداريّة والقضائيّة الّتي ترى الحكومة الفرنسيّة إدخالها وفائدة فيها.

المادة الثانية: تتمثل في ضمان الحكومة الفرنسيّة لقرض يعقده الباي لتسديد الدّيون, ويكون ذلك وفقا للشروط الّتي تضعها الحكومة الفرنسيّة .

المادة الثالثة: تنصّ على تحديد ما يخص الباي وما يخصّص لمصاريف الحكومة من الدّخل العام.[4]

ونعتقد أنه بموجب هذه الاتفاقيّة أصبحت السلطات الفرنسيّة تشرف على الشؤون الداخليّة والخارجيّة لتونس, أي أنّها تتدخّل في كلّ ما يخصّ تونس, أمّا بالنّسبة لسلطة الباي لم تكن إلاّ مجّرد سلطة تشكيليّة في البلاد, حيث أنّها عدّلت نظام الحكم في تونس بما يخدم مصالحها للوصول إلى غايتها المنشودة.[5]

ولم تلتزم السلطات الفرنسيّة بما ورد في بنود المعاهدتين **(باردو والمرسى)**, حيث

---

[1]- حلمي محروس إسماعيل: تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى, (د.ط), مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية,2004 م, ص 247.

[2]- عبد الكريم الفيلالي: مرجع سابق, ص 226.

[3]- جميل بيضون: تاريخ العرب الحديث, (د.ط), دار الأمل للنشر والتوزيع, (د.م), 1991م, ص 112.

[4]- شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب), ط1, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, 1977م, ص 309.

[5]- إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث, ط1, مكتبة العابيكان, الرياض, 1997, ص 142.

استعملت نفس السياسة التي طبقتها في الجزائر في كافّة المجالات,[1] وبمقتضى معاهدة المرسى كانت الحكومة التونسيّة تقوم بإجراء الإصلاحات الداخلية من إدارية وعدلية ماليّة وفقا لما يناسب الحكومة الفرنسيّة,[2] هذه الأخيرة أرادت استغلال كلّ ممتلكات الشّعب التّونسي, فبمجرد احتلالها تونس فكّرت في أحسن الوسائل لهجرة العنصر الأوروبي إليها, وفي سنة 1885م قرّرت تطبيق نظام تورنز الخاص بتنظيم الملكيّة العقاريّة , وهو نظام ساري في أستراليا, وبمقتضى هذا القانون يستطيع المالك الجديد لقطعة الأرض أن يضمن ملكيته لها بواسطة تسجيلها في محكمة مختلطة,[3] وهكذا أصبح الإطار القانوني جاهزا لتطوّر الجانب الاقتصادي للمستعمر, وكان ذلك الغاية القصوى الّتي يطمح إليها النّظام الجديد.[4]

وقد احتكر الفرنسيون منذ احتلالهم تونس ثلاث مهام محوريّة تمثّلت في:

- الوظيفة الأمنية.
- التّمثيل الدبلوماسي الخارجي.
- حق الرقابة على الإدارة المحلية.

كما أصبح المقيم العام يحكم البلاد باسم الباي, ويحدد السياسة العامّة للدولة,[5] و استولى الفرنسيون أيضا على الأوقاف الخيريّة, فعندما كانت أراضي الأوقاف غير قابلة للبيع بحثّ الفرنسيون في الفقه الإسلامي عن الحلول التي تمكّنهم من الاستيلاء عليها,[6] وقد سيطر الفرنسيون سنة 1892م على الأراضي البور, حيث ضمّها إلى ملكية الدولة كما استولوا على مساحات شاسعة في الجنوب من صفاقس, واستمرّت سلطات الحماية

[1]- المغرب العربي المعاصر, مرجع سابق, ص 30.
[2]- حسن حسيني عبد الوهاب, خلاصة تاريخ تونس, ط 3, دار الكتب العربية الشرقية, تونس, 1953م, ص 179.
[3]- صلاح العقاد, مرجع سابق, ص 197.
[4]- محمد الهادي الشريف, تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الي الاستقلال, تعريب: محمد الشاوش, ط 3, دار سراس للنشر, تونس, 1993م, ص 100.
[5]- خليفة الشاطر وآخرون, تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال, ج 3, مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية, تونس, 2005م, ص 32.
[6]- صلاح العقاد, مرجع سابق, ص 199.

على إتّباع سياسة اغتصاب الأراضي, فأصبح الأوروبيون يمتلكون ما يعادل 1/5مساحة الأراضي المزروعة.[1]

1-1الحماية ونتائجها الدولية:

أدّى احتلال فرنسا لتونس إلى إثارة غضب كلّ من إيطاليا والدّولة العثمانيّة, فشعرت حكومة الأستانة أنّ فقدان تونس يعد ضربة لسياسة السلطان, ولم تأبه السلطات الفرنسيّة لمعارضة الباب العالي وادّعت أنّ السلطات العثمانيّة قدّمت المعونة للثوّار التّونسيين, وقد اعترفت الأستانة بالحماية الفرنسيّة على تونس سنة 1888 ولم يكن اعترافها رسميّا إلاّ في الحرب العالمية الأولى أي بعد هزيمتها.

أمّا بالنسبة لايطاليا فكانت تملك وسائل أكثر تهديدا لفرنسا, حيث عملت فرنسا على استرضائها فعرضت عليها تعويضا على حساب الدولة العثمانية في ليبيا, غير أنّ ايطاليا رفضت ولم تعترف بالحماية الفرنسيّة على تونس, ممّا جعلها تنضّم لدول الحلف الثلاثي.

ولم تقتصر مشاكل الحماية الفرنسيّة على السّياسة الدوليّة, حيث واجهت فرنسا بعض العقبات الاقتصاديّة والقانونيّة داخل تونس, وقد استمرّت ايطاليا في معارضتها للحماية إلى غاية سنة 1896م إثر تعرّضها للهزيمة الكبرى.

وفي يوليو1897م صدر مرسوم يسمح للرعايا الأوروبيين طلب التجنس بالجنسية الفرنسية,بعد إقامة فترة معينة في تونس, غير أنّه لم يتم تحقيق الهدف الّذي صدر من أجله, وتمّ اعتباره ماسا بالسّيادة الوطنيّة التونسيّة.[2]

2-ردود الفعل الوطنية على نظام الحماية:

كان ردّ فعل التونسيين عنيفا بالرّغم من الخلافات القبليّة التّي بينهم, حيث اتّحدوا من أجل الدّفاع عن بلادهم وتصدّوا للعدو الفرنسي الذّي سلبهم حقوقهم الشرعيّة,[3] حيث

[1]- يسرى الجوهري, شمال افريقية, ط6, الهيئة المصرية العامة للكتب, الإسكندرية, 1980م, ص 57.
[2]- صلاح العقاد, مرجع سابق, ص ص 201-203.
[3]- الهادي التيمومي, المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي, ط1, المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة ", تونس, 1999م, ص 645.

أنّه لم تكد الجيوش الفرنسيّة تحتل البلاد حتى ثار الشعب في وجهها وأظهر رفضه في عدم قبول الحماية, و قاومها بالسّلاح وسجّل في كفاحه صفحات من البطولة.[1]

وعمّت الثّورة في القرى والأرياف والكثير من المدن, أمّا المدن الّتي لم تشارك في الثّورة بشكل مباشر لم تكن غائبة تماما,[2] كانت قبائل خمير[3]على الحدود الجزائريّة الشماليّة ومدن صفاقس والقيروان[4] وقابس والجنوب تقاوم الجيش الفرنسي وتقدّم ألاف الشهداء.[5]

منذ وصول السّفن البحريّة الفرنسيّة لميناء طبرقة هبّ متطوّعون من أولاد بوسعيد والحوامدة وأولاد عمر بقيادة شيوخها لمقاومة العدّو, و أمّا بالنّسبة للفروع الأخرى من خمير بقيت صامدة لقطع السبيل على القوات الفرنسية, وتواصلت المقاومة في كلّ من عمدون والشيّاحيّة, إضافة إلى قبائل مقعد و هذيل الّتي واجهت الاحتلال بكلّ شجاعة, حيث استولى أبناء مقعد على سفينة حربيّة فرنسيّة في 28 أفريل 1881م.[6]

كما عملت قبائل الوسط والوسط الغربي على وضع خطّة موحّدة لمواجهة القوّات الفرنسيّة, حيث تمّ عقد اجتماع بين 15و20جوان 1881م بجامع القيروان وفيه تمّ الاتفاق على إرسال ثلاثة رسل إلى طرابلس لاستقصاء نوايا الباشا التركي اتّجاه الاحتلال الفرنسي لتونس.

وفي 19أوت1881 م انعقد اجتماع سبيطلة, وقد جمع هذا الاجتماع عدد كبير من القيّاد والمشايخ وأعيان القبائل, وهذه الاجتماعات مثلّت المرحلة النظرية لتنظيم هذه المقاومة والّتي تجسّدت في معارك: **معركة حيدرة, الروحيّة, كديّة الحلفاء** وهي المعركة

---

[1]- الحبيب ثامر, هذه تونس, تحقيق: حمادي الساحلي, ط 1, دار الغرب الإسلامي, لبنان, 1988م, ص 30.

[2]- الشيباني بنبلغيث, مرجع سابق, ص 216.

[3]- **خمير:** عنصر من سكان تونس سميت باسمه السلسلة الجبلية الممتدة على ساحل البحر بالشمال الغربي من البلاد, وجبل خمير ومنطقته هما جزء من ولاية جندوبة, وكتلة جبال خمير التي هي امتداد بالبلاد التونسية لسلسلة الأطلس التلي مكونة من الحثّ كبيرة التفاوت بين جبال واهواد. ينظر, محمد طالبي, في تاريخ افريقية, المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون " بيت الحكمة ", تونس, 1994م, ص 90.

[4]- **القيروان:** مدينة في وسط البلاد التونسية تبعد مسافة 156كلم عن مدينة تونس , ومسافة 57كلم عن مدينة سوسة, وتتكون حاليا من" المدينة" القديمة ذات الأزقة الملتوية. ينظر, محمد طالبي, مرجع سابق, ص ص 138-139.

[5]- الطاهر عبد الله, الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956, ط 2, دار المعارف للطباعة والنشر, تونس, (د.ت), ص 104.

[6]- علي المحجوبي, انتصاب الحماية الفرنسية في تونس, تعريب: عمر ضو, حليمة قرقوري, (د.ط), دار سراس للنشر, تونس, 1986م, ص 46.

الأخيرة الّتي قرّر فيها الأهالي أن يستخدموا كلّ قواهم في وجه الفيلق الفرنسي.[1]

أمّا المقاومة في الجنوب تميزت بالاضطرابات خاصة في صفاقس جوان 1881م, والّتي قام بها عامة السكان بالاشتراك مع جمع من قبيلة المثاليث, وكانت الشائعات الرّائجة آنذاك حول تدخّل الدّولة العثمانيّة لطرد فرنسا من البلاد التونسيّة قد زادت توتّر الوضع في صفاقس,[2] و بفضل المشاركة الفعالة لقائد المدفعية محمد الشريف, شجّع العناصر الوطنيّة من المدنيّين على الوقوف مع الجنود أمام الأسطول الفرنسي, وبذلك تأسّست لجنة دفاع عن المدينة حيث تمّت الإطاحة بالعلم الفرنسي, وضرب المقاومون نائب القنصل وهاجموا العامل حسين الجلولي الّذي بقي على ولائه للباي.[3]

أمّا بالنّسبة لقابس[4] فعندما علم المقاومون بزحف الأسطول الفرنسي إليها وإلى جربة, نصب المجاهد علي بن خليفة النفاتي مركز قيادته, كما توجّه أخوه صالح بن خليفة ورؤساء الحزم وبني يزيد إلى قابس للمشاركة في الدفاع عنها إلى أن استسلمت نهائيا في 24 نوفمبر بعد جهاد طويل.[5]

كما شملت المقاومة منطقة الساحل وكان لجنودها دور كبير وبارز, ودارت فيها معارك عنيفة منها: معركة الوادي الّتي استشهد فيها علي بن عمارة ومحمد الهذيلي, ما أدّى إلى انسحاب الثوّار تحت ضغط الفرنسيين.[6]

بعد انتهاء المقاومة المسلحة في مرحلتها الأولى حتى مطلع القرن 20م, وبدأ الكفاح السّياسي عام 1884م وقد اختفى في بدايته وراء واجهات ثقافيّة كالجمعيات والمدارس والصّحف, حيث أنشئت **المدرسة الصادقية** 1875م على يد خير الدين,[7] كما

---

[1]- التليلي العجيلي, الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939), مجلد 2, منشورات كلية الآداب بمنوبة, تونس, 1992م, ص ص 128-131.

[2]- انتصاب الحماية الفرنسية في تونس, مرجع سابق, ص 48.

[3]- الشيباني بنبلغيث, مرجع سابق, ص 219.

[4]- **قابس**: مدينة تقع على البحر وتطل على خليج سيرتا الصغير, وتحيط بها الواحة في اغلب جهاتها, وهي تقع على الطريق التجارية الرابطة بين الشرق والغرب والمحيطات التجارية الإفريقية, وهي الباب الذي دخل منه الفاتحون العرب لإفريقيا, وتمثل عبر العصور مركزا زراعيا وتجاريا وصناعيا هاما على جزء من الشمال الإفريقي. ينظر, بلقاسم بن محمد بن جراد, قابس عبر التاريخ, (د.ط), المدرسة المرادية, 1999م, ص 12.

[5]- بلقاسم بن محمد بن جراد, مرجع نفسه, ص ص 232-233.

[6]- الشيباني بنبلغيث, مرجع سابق, ص 221.

[7]- محمد علي داهش, دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي, منشورات اتحاد الكتاب, دمشق, 2004م, ص 46.

أنشئت **جريدة الحاضرة** عام 1888م, وتولّى إدارتها علي بوشوشة وهو خرّيج المدرسة الصادقيّة.[1] وتأسّست الجمعية الخلدونيّة[2] ثمّ تأسّست الجمعية الصادقيّة سنة 1905م برئاسة خير الله بن مصطفى, وقد استطاعت هذه الجمعيّة أن تنظّم حوالي 84 محاضرة من أفريل 1906 إلى 1907م, وكانت تسعى إلى دفع الشعب التونسي إلى التقدم والأخذ بالأفكار العصرية.[3]

وبفضل جهود الجمعيتين تخرج العديد من التلاميذ الذين أسهموا في خدمة بلادهم للتخلص من السيطرة الفرنسية, وكان منهم من ساهم في تشكيل حزب سمي بحزب تونس الفتاة,[4] الذي قام بحملة سياسية واسعة النطاق بسبب الاعتداء الايطالي على طرابلس, حيث جمع التونسيون الأموال والأدوية للشعب الطرابلسي,[5] لكن هذا الكفاح السياسي لم يكن منظما إلاّ في سنة 1919م, وذلك من خلال ظهور التنظيمات النقابية والسياسية.[6]

[1]- الطاهر عبد الله, مرجع سابق, ص 33.

[2]- **الخلدونية:** جمعية ثقافية تأسست سنة 1896م تسعى الي نشر الثقافة العصرية بين الوافدين عليها واغلبهم من طلبة الزيتونة وتقدم محاضرات ودروس, تشمل مختلف ميادين المعرفة والثقافة, ومن أشهر المحاضرين أحمد صفر. ينظر, خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص 65.

[3]- علي المحجوبي, الحركة الوطنية التونسية بين الحربين, المجلد2, منشورات الجامعة التونسية, 1986م, ص 26.

[4]- **تونس الفتاة**: أسسه علي باش حامبه سنة 1908م, وكان نضاله متصلا بالحركة الإسلامية التي كانت تنادي بالتحرر في نطاق الجامعة الإسلامية, وكان من رجال الحزب البارزين عبد العزيز الثعالبي, وقد أزعجت هذه الحركة فرنسا وسببت لها كثيرا من المتاعب فحلّت الحزب سنة 1911م . ينظر, راشد بن محمد أبا الخبل, الموسوعة العربية العالمية, ط 2, مؤسسة أعمال الموسوعة, الرياض, 1999م, ص5

[5]- فلاديمير لوتسكي, تاريخ الأقطار العربية الحديث, ط 8, دار الفارابي, بيروت, لبنان, 1985م, ص 315.

[6]- دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي, مرجع سابق, ص 46.

الفصل الأول :

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري الحر 1920 م

المبحث الثاني: المواقف الوطنية و الفرنسية اتجاه تأسيس الحزب

الفصل الأول: الحركة الوطنية التونسية والحزب الدستوري الحر1920م

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري الحر 1920م

وجد التونسيون أنفسهم معرقلين ومهزومين بانهزام ألمانيا والإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى, وتوقّفت المساعدات الماديّة والمعنويّة الّتي كان يتلقّاها الشبّان التونسيون الّذين وجدوا أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه, وهذا رافقه توقف جريدة **الشبّان** المسمّاة –**جريدة المغرب**– عن الصدور, ممّا جعل نشاط هؤلاء الشبّان عديم الجدوى.

وقد تزامن انتهاء الحرب العالمية الأولى مع وفاة أهم الشخصيات أمثال: **علي باش حامبه**[1]**واسماعيل الصفايحي**[2] (1915م) وتوفي محمد باش حامبه وصالح الشريف (1920م), وراح الشباب التونسي بالداخل يساهمون في إعادة بناء الحركة الوطنية, وكانوا حاضرين دائما في الساحة السياسيّة يتلاقون بنهج الكومسيون لمناقشة مصير البلاد التونسية.

قام هؤلاء الشباب بتأسيس الحزب الوطني التونسي من خلال عقد العديد من الاجتماعات أهمّها الاجتماع الّذي ضمّ 60 عضوا (30مسلما و30يهوديا تونسيا) في صالون مقهى فرنسا برئاسة **خير الله بن مصطفى**[3], والغرض من هذا الاجتماع إعداد برنامج لاستعادة مطالب جريدة التونسي وتكييفها مع الظرف الجديد الناتج عن الحرب

---

[1]- **علي باش حانبه**: (1876-1918) ينحدر من أسرة تركية عريقة من سكان الأناضول, كان من تلامذة المدرسة الصادقية, وبعد حصوله على شهادات ختم الدراسة بتلك المدرسة دعي الي الإشراف على إدارتها بصفة وكيل, اصدر الي جانب جريدة " التونسي " الناطقة بالفرنسية جريدة أسبوعية ثانية ناطقة بالعربية. ينظر, الصادق الزمرلي, أعلام تونسيون, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1986م, ص ص 141-143.

[2]- **الصفايحي**: محمد بن الشيخ إسماعيل بن محمد بن حسن الصفايحي, ولد بتونس وتاريخ حياته غير معروف, تعلم بجامع الزيتونة الي أن أحرز على شهادة التطويع, تولى مكانة مدرسا بمدرسة الخطباء ومدرسا للحديث الشريف بجامع أم السلطان وكان من بين آثاره: كشف النقاب عن وجه التلفظ بالكنى والألقاب والفصول المستطابة من أصول الخطابة, وقد اجتهد والده في مباحث الخطابة وتقريرها بصورة دراسية عندما كان مدرسا بمدرسة الخطباء باسطنبول. ينظر, محمد محفوظ, تراجم المؤلفين, ج5, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1986م, ص 241.

[3]- **خير الله بن مصطفى**: (1865-1867) أجنبي الأصل , فقد ولد جده مصطفى بمنطقة " موري " اليونانية في عائلة تركية, عين خير الله مدرسا بالمدرسة الصادقية التي بقي بها 6 سنين يلقن اللغة الفرنسية لأبناء مواطنه, وعندما أنشئت جمعية الصادقية سنة 1905م بمبادرة المرحوم علي باش حامبه, تم الاتفاق على إسناد رئاسة تلك الجمعية الي خير الله. ينظر, الصادق الزمرلي, مرجع سابق, ص ص 319-322.

وانقسم المشاركون في الاجتماع إلى جناحين, حيث أنّ الجناح الأول كان يطالب بمنح دستور للبلاد وكان يتزعّمها عبد العزيز الثعالبي, غير أنّ الجناح الثاني يقتصر نشاطه على تعديل الحماية وذلك من خلال المطالبة بإصلاحات, وتمّ عقد اجتماع ثاني من أجل الوصول إلى حل توفيقي, وهذا الاجتماع ضمّ أنصار الخط المتصلّب وأسّسوا الحزب التونسي في مارس 1919م.[1]

ضمّ هذا الحزب كلاّ من الثعالبي وأحمد الصافي وحسن القلاّتي ومجموعة من المحامين والصحافيين, وتمكّن زعماءه من تجديد نضالهم بإرسال مذكّرة إلى الرّئيس ولسن ووفود مؤتمر الصلح للمطالبة بتطبيق حق تقرير المصير للبلاد التونسيّة, لكن هذا الحزب فشل في ذلك وخاب أمل الوطنيين التونسيين, فتوجّهوا للمطالبة بحريّة الشّعب التونسي في نطاق عصبة الأمم من خلال كسب مساندة الأحزاب اليساريّة الفرنسيّة من جديد, فكلّفوا أحمد السّقا والثعالبي في باريس أفريل 1919م جويلية 1919م,[2] حيث كان أحمد السّقا يزاول تعليمه في فرنسا, وقد تحصّل على الدكتوراه في الحقوق, فتمكّن من عقد الصلة مع الصّحف والحركات اليساريّة الفرنسيّة, و التعريف بالقضيّة التونسيّة فقام الثّعالبي بعدّة اتّصالات مع بعض القادة الاشتراكيين كمرسال كاستان, كما اتّصل بشخصيات من الحزب الراديكالي والعديد من الصحفيين والكتّاب.

ونعتقد أنّ ما قام به أحمد السّقا كمترجم للحزب التونسي في التفاوض مع الفرنسيين وما قام به أيضا زميله الثعالبي قد كان له الأثر البارز على القضيّة التونسيّة الّتي نجحت في الحصول على تعاطف اليسار الفرنسي, عندما تقدّم الحزب الاشتراكي وتوعّد للتونسيين لعرض القضيّة التونسيّة أمام البرلمان.

وقد جاء صدور كتاب تونس الشهيدة كتتويج وترجمة لتلك الفترة الحاسمة من تاريخ تونس الحديث, كيف لا و هذا الكتاب قد لخّص معاناة التونسيين ومطالبهم, و بالتمعّن

[1]- علي المحجوبي, جذور الحركة الوطنية 1904-1934, تعريب: عبد الحميد الشابي, ط1, المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون" بيت الحكمة ", تونس, 1999م, ص, ص219-220.

[2]- خليفة الشاطر وآخرون, تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال, الجزء 3, مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية, تونس, 2005م, ص86.

في فصول الكتاب نجد أنّه يبنى على تحليل نظام الحماية و الانعكاسات السيّئة على تونس,[1] فيعدّ هذا الكتاب همزة وصل بين فرنسا أو بالأحرى بين الرأي العام الفرنسي وتونس وهو كتاب جدّي يظهر عن بلد عربي في الغرب, حيث استطاع الثعالبي أن يفهم العقليّة الغربيّة, وعرض أوضاع تونس السيّئة,[2] كما أراد أن يعيد للتونسيين حقّ إدارة بلادهم إدارة فعليّة على جميع المستويات وكان مستأنسا في تحقيق ذلك بروح دستور 1861م وطالب بعودة العمل به.

ومن خلال هذا الكتاب عرض برنامج يحتوي على ضمانات ضدّ الظلم الناجم عن الحماية تمثّل في سنّ نظام ديمقراطي يتركّز على الفصل بين السلط,[3] ورغم ذلك فإنّ المطالب الّتي طرحت في كتاب (تونس الشهيدة) قد اقتصرت على تحقيق الاستقلال الذاتي, وقد لقي هذا الكتاب صدى كبير في تدعيم الحركة الوطنية, وتجلّى ذلك في تأسيس **الحزب الدستوري الحر في مارس 1920م.**[4]

وكان قادة هذا الحزب معظمهم من العاصمة التونسية وهم: **عبد العزيز الثعالبي, علي كاهية, محمد نعمان, الشاذلي القسطلي, الصادق الزمرلي, حسن القلاتي, أحمد السقا, صالح فرحات, الطيب الجميل, الشاذلي خزندار, أحمد الصافي ومحي الدين القليبي.**[5]

1- ظروف نشأة الحركة الوطنية التونسية:

في الفترة الّتي أعقبت انتهاء الحرب العالمية الأولى برزت الحركة الوطنيّة التونسيّة كغيرها من الحركات الوطنيّة وخرجت من فترة السّكون الطويل الّذي لازمها منذ فرض الحماية في 1881م, حيث انطلق الشباب التونسي بوعي وطني أكثر قوة وانتشار

[1]- شاوش حباسي, محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية 1914-1920, مجلة الدراسات التاريخية, ع 7, جامعة الجزائر, 1993, ص 149.
[2]- عبد العزيز الثعالبي, تونس الشهيدة, ط1, دار القدس, بيروت, لبنان, 1975م, ص21.
[3]- شاوش حباسي, مرجع سابق, ص 149.
[4]- الحركة الوطنية التونسية بين الحربين, مرجع سابق, ص ص50-51
[5]- أحمد القصاب, تاريخ تونس المعاصر (1881-1956), ترجمة: حمادي الساحلي, الشركة التونسية للنشر والتوزيع, تونس, 1986م, ص 504.

مستفيدة من الظروف المحلية الإقليمية والدولية وهي كالتالي:[1]

أ-على المستوى الداخلي:

1. **الأزمة الاقتصادية:** فقد عرفت تونس رداءة في المحاصيل الزراعية, حيث بلغ معدل مردود القمح والشعير سنة 1915م و1918م تباعا 224750طن و198000طن ولم يمثل بين 1919م 1920م سوى 166150طن و88550طن. مضاف إليها غلاء المعيشة نتيجة الانخفاض في قيمة العملة التونسية.[2]
2. الزيادة في الضرائب والرّفع في الأعباء والجبائية, وهذه الزّيادة كانت نتيجة المصاريف الناجمة عن السياسة الفرنسية في تونس بعد الحرب العالمية الأولى, وفي 20 ديسمبر 1919م نصّ أمر للباي على نظام جبائي جديد يثقل كاهل الأهالي بصورة خاصّة, وبمقتضى هذا الأمر وقعت الزّيادة في أداء الاستيطان وهو ضريبة شخصية بالتساوي على الأغنياء والفقراء.
3. **ضريبة الدم:** حيث كان الشباب التونسيون البالغون من العمر العشرين باستثناء اليهود أصيلي مدينة تونس...ملزمين بالخدمة العسكرية لمدة 3سنوات تتبعها 7سنوات ضمن قوات الاحتياط, وقد استخدمت فرنسا هؤلاء الشباب من أجل الدفاع عن فرنسا ومقاتلة أعدائها, وأصبحت الخدمة العسكرية تعتبر وسيلة لتعريض شباب البلاد إلى الموت وهذا ما أثار غضب التونسيين.

ونعتقد أنّ هذه السياسة لم تعان منها تونس لوحدها بل عانت منها الشقيقة الجزائر الرازحة آنذاك تحت الاحتلال الفرنسي المقيت.[3]

[1]- غيلان سمير طه التكريتي, الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1919-1939, مجلة آداب الفراهيدي, ع13, 2013م, ص189.

[2]- الحركة الوطنية التونسية بين الحربين, مرجع سابق, ص ص 44-45.

[3]- جذور الحركة الوطنية التونسية, مرجع سابق, ص ص 192-202.

ب-على المستوى الخارجي:

1. مبادئ ولسن:

علق التونسيون آمالهم على هذه المبادئ التي أعلن عنها الحلفاء أثناء الحرب فالرئيس الأمريكي ولسن أعلن عن مبادئه الأربعة عشر في 1918م, وتتضمّن هذه المبادئ الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها, و على الرّغم من أنّ هذه المبادئ كانت موجّهة بالخصوص للشّعوب الأوروبية الخاضعة للهيمنة الألمانية والنمساوية المجرية, إلا أنّها بعثت آمالا كبيرة للتونسيين للمطالبة بالاستقلال,[1]حيث توجه الثعالبي وزميله أحمد السّقا إلى الرئيس ولسن بمذكرة يطالبان فيها باستقلال تونس.[2]

2. نجاح ثورة أكتوبر1917م بروسيا والتأثّر بالأمميّة الثالثة:

بلغت هذه الثورة إلى أسماع الشباب التونسي أمثال: **محمد نعمان, حسن القلاتي** وكان من الاشتراكيين, كما شاركت تونس في الجامعة الاشتراكية وحتى في الجدال الذي كان بين الأمميّة الثالثة وأنصار الأمميّة الثانية.

وقد اختار أغلبية الاشتراكيين في تونس الأمميّة الشيوعية, وكان ذلك اثر المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكي الفرنسي في ديسمبر 1920م, وبالتالي فثورة أكتوبر شجّعت حركة الشباب التونسي على الكفاح ضدّ السيطرة الفرنسية.

3. أحداث تركيا:

هي الأخرى ساهمت في تشجيع التونسيين وتأثّرهم بها, حيث كان الشباب التونسيون العاملون في الخارج على اتّصال وثيق باتّجاه الجامعة الإسلاميّة الّذي كانت تنشط فيه تركيا وتشجّع ألمانيا, وهؤلاء الشباب:**علي ومحمد باش حامبه والصالح الشريف و إسماعيل الصفايحي** يواصلون في دفع الحركة الوطنية التونسيّة, وقد ساهمت أحداث تركيا ساهمت إلى حد بعيد في تنمية الشعور الوطني,[3] ومنحت الثورة حق تقرير المصير لمستعمرات القيصر, إضافة إلى

[1]- الحركة الوطنية بين الحربين, مرجع سابق, ص46.
[2]- علال الفاسي, الحركات الاستقلالية في المغرب العربي, ط6, مؤسسة علال الفاسي, الدار البيضاء, 2003م, ص57.
[3]- جذور الحركة الوطنية التونسية, مرجع سابق, ص ص207-208.

اعترافها باستقلال فنلندا وفضحها المعاهدات السرية التي أبرمت بين القيصر وباقي الدول الامبريالية, كذلك قامت بوضع حدّ للسياسة المنتهجة من طرف المستعمر, وساندت الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة.[1]

4. معركة التحرير الوطني المصري:

قام الزعيم المصري سعد زغلول بإنشاء وفد من حزب الأمّة من اجل التعبير عن المطالب المصرية أمام مؤتمر الصلح بباريس, وطرح قضية الاستقلال المصري. كما قام بإنشاء حزب الأمة, مما اثر على زعماء الحركة الوطنية التونسية على رأسهم الثعالبي وزملائه.[2]

5. حصول طرابلس على القانون الأساسي:

في جوان 1919م تحصلت على القانون الأساسي الذي ينص على إنشاء برلمان طرابلس منتخب بالاقتراع العام وحكومة أعضائها من المسلمين.[3]

6. تعاطف اليسار الفرنسي مع بعض المطالب الوطنية:

استطاع زعماء حركة الشباب أمثال: **عبد العزيز الثعالبي, حسن القلاتي,[4] محمد نعمان, أحمد الصافي وأحمد السقا** طرح قضايا تتعلق بالحرية وحق تونس في تقرير مصيرها, وذلك من خلال علاقتهم مع الأوساط اليسارية الفرنسية.

2-مطالب الحزب الدستوري الحر 1920م:

إنّ البرنامج السياسي الذي واجه به الحزب الباي والإقامة العامة معا, لم يكن سوى تمهيدا من أجل تحقيق أهدافه البعيدة, و تضمّنت مطالبه أساسا ثماني نقاط, وأصبحت تسعة بإضافة مطلب التعليم الإجباري,[5] وهذه المطالب هي كالتالي:

---

[1]- حمة الهمامي, المجتمع التونسي دراسة اقتصادية اجتماعية, ط 1, منشورات اللجنة الجهوية بسوسة, صامد للنشر والتوزيع, تونس, 1989م, ص 45.

[2]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص 85.

[3]- احمد القصاب, مرجع سابق, ص 498.

[4]- **حسن القلاتي**: (1880-1966) ولد ببلدة بوغاري في مقاطعة الجزائر, وقدم إلى تونس في سن الواحدة من عمره, أقدم القلاتي بالتعاون مع بعض أصدقائه على إصدار جريدة البرهان الرامية إلى تيسير سبل مواصلة الحوار وتهيئة المراحل الانتقالية لنضج الحل العادل للقضية التونسية. ينظر, الصادق الزمرلي, مرجع سابق, ص ص 333-337.

[5]- يوسف مناصرية, الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934, رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة الجزائر, 1985م, ص 60.

1. إنشاء مجلس تشريعي, باشتراك العناصر الأوروبية مع العناصر الوطنية.

2. إنشاء حكومة مسئولة أمام مجلس تشريعي.[1]
3. الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائيّة.
4. حقّ التونسيون في الانخراط في جميع الوظائف, وذلك بتوفّر الشروط التي تجب على المترشّح.
5. المساواة في الأجور بين الموظفين التونسيين والفرنسيين.
6. تأسيس مجالس بلدية منتخبة.
7. حقّ التونسيين شراء الأراضي العائدة لإدارة الفلاحة وأملاك الدولة.
8. إعطاء الحرية للصحافة والاجتماعات إضافة إلى الجمعيات.[2]
9. التعليم الإجباري, بحيث يكون التعليم في المرحلة الأوليّة إجباريا للأولاد ويكون باللّغة العربيّة كذلك تعليم اللّغات الأجنبيّة يصبح إجباريا في المرحلة الثانيّة والعاليّة. [3]

إنّ الغاية من وضع هذه المطالب هو القضاء نهائيا على سيطرة الحماية الفرنسية وسياستها المتمثّلة في الظّلم والاستبداد الّذي يعاني منه الشعب التونسي, كذلك توفير جميع الحقوق للتونسيين الّتي حرموا منها, في حين تتمتّع بها الجالية الفرنسية.[4]

ونعتقد أنّ المطالب الّتي قدّمها الحزب الدستوري الحر مطالب واقعيّة إلى حدّ كبير حيث سارت في إطار قانوني وكان الهدف منها هو تذكير الحماية الفرنسيّة بما أوردته في نصّ معاهدة باردو.

لكن الحماية الفرنسية لم تلتزم بذلك, ما جعل الاشتراكي الفرنسي **(ديران انجليفيال)** يقول " أنّه من الأنفع لنا أن ننظر مليا في المطالب الدستوريّة الّتي يطالبنا بها التّونسيون

[1]- الحركة الوطنية بين الحربين, مرجع سابق, ص 62.
[2]- علال الفاسي, مرجع سابق, ص 61.
[3]- يونس درمونة, تونس بين الاتجاهات, (د.ط), دار الكتاب العربي, مصر, 1953م, ص162.
[4]- الحركة الوطنية بين الحربين, مرجع سابق, ص 62.

حتى نتمكّن من مناقشتها..."، وقد تواصل النّزاع بين الحزب وسلطة الحماية الرّافضة لمطالب التونسيين, ما جعل الحزب الدستوري يتخّذ موقف متصلّب ويطالب بالاستقلال.[5]

3-نشاط الحزب الدستوري الحر ودور الثعالبي فيه:

كانت الصحافة بالنّسبة للدستور الحر الوسيلة الأولى الّتي تمّ اعتماده عليها, وذلك بنشر مبادئه بين الشّعب حتىّ يتمّ كسب عضويتهم, فأصبحت هناك الصحافة العربيّة و الفرنسيّة بعد أن كانت هناك الخطب تلقى في المساجد والنوادي وغيرها.[1]

وتعدّ الصحافة العنصر الّذي عوّل عليه الحزب الدستوري منذ الإعلان عن نشأته حيث واصل الاعتماد عليها في الفترة الّتي لحقت صدور القوانين الزجرية 1926م,[2] وقد عرفت الصحافة انتعاشة من خلال عودة الصّحف القديمة إلى الظهور مثل: (**المنير- مرشد الأمة- الصواب...**) بالإضافة إلى ذلك تأسّست صحف جديدة مثل: (**النديم- لسان العرب- الوزير- الاتحاد- العصر الجديد**).

كلّ هذه الصحف اعتمد عليها الحزب الدستوري الحر ليتمكّن من نشر مبادئه ورائه وكان لهذه الصحف مدراء أعضاء باللّجنة التنفيذيّة للحزب ساهموا بدورهم في تأييد أفكار الدستور, وراحت الصحافة الناطقة باللّغة العربية إلى نشر الوعي الوطني.[3]

ومن صحافة الحزب الفرنسية نذكر (**صدى الصحافة**) (**l'écho de la presse**) وكان مؤسسها هو الثعالبي[4]في مارس 1923م, وقد دافعت بشدة عن القضية التونسية, غير أنّ هذه الجريدة توقفت عن الصدور وذلك اثر محاكمة صاحب امتيازها

---

[5]- يوسف مناصرية, مرجع سابق, ص ص 64-65.

[1]- يوسف مناصرية, مرجع نفسه, ص 73.

[2]- الهادي التيمومي, المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي, المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة ", تونس, 1999م, ص 670.

[3]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص 88.

[4]- **عبد العزيز الثعالبي**: (1876م-1944م) عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي, الزعيم السياسي, هو من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس بعد الاحتلال, ولد بتونس و نشا في كنف جده الذي شارك في المعارك ضد الاحتلال الفرنسي. حفظ القران الكريم وأتم الدراسة الأولية في البيت على مدرس خاص, التحق بجامع الزيتونة, تابع دروس المدرسة الخلدونية وكان من ابرز أساتذة البشير صفر, عمل في حزب الزعيم علي باش حامبه (الحزب التونسي) وكتب جريدة " المبشر" وجريدة "المنتظر" ثم اصدر جريدة " سبيل الرشاد ", واصدر كتابه الشهير " تونس الشهيدة ". ينظر, محمد محفوظ, تراجم المؤلفين, ج1, ص 213-216.

الفرنسي (بول دوستوكهولم) ثم أصدر جريدة أخرى سماها (**الحر**) (**le libérale**) سنة 1924م.[5]

واصل الحزب الحر نشاطاته على السّاحة السياسيّة التونسيّة, اذ نشر المقالات في جريدة " **الحقيقة** ", كما صدرت جريدة " **العلم التونسي** ", وفي سنة 1929م صدرت جريدة "**صوت التونسي** ". [1]

وفي سبتمبر 1921م قام الحزب بإرساء شعب في جميع أنحاء البلاد وبالخصوص في جهات السّاحل والقيروان وصفاقس قابس وباجة وبنزرت بالإضافة إلى الأحياء الشعبيّة لمدينة تونس, وبالتّالي جلّ أعضائه ينتمون إلى الطّبقات الشعبيّة والمتوسّطة, وكان الحزب الدستوري يعتمد على صغار الفلاّحين والحرفيين الّذين يمثلون أغلبيّة السّكان في السّاحل.

واصل الحزب إرساء تنظيمه بكافّة الجهات إلى غاية نهاية سنة 1921م وبداية سنة 1922م, وقد تشكّل الهيكل التنظيمي للحزب على النحو التالي: لجنة تنفيذيّة من مهامها تسيير أعمال الحزب و الإشراف على الدّعاية إضافة لجمع المال, وهناك لجان جهوية و انبثقت عن اللّجنة التنفيذيّة عدة لجان تمثّلت في اللّجنة السياسيّة وهي برئاسة أحمد الصافي, كذلك اللجنة المالية يرأسها حمودة المنستيري...

عجز الحزب في الجانب المادي عن دعم حوادث أفريل 1922م رغم أنّ هناك منخرطين كثر فيه, ثمّ تلتها سنة 1923م والتي قامت بهدّ القدرة المادية وشلّ أعمال الحزب السياسة.[2]

كما تعرّض قادة الحزب إلى الاعتقال والنّفي ومن بينهم الثعالبي زعيم الحزب الدستوري الّذي تمّ نفيه إلى خارج تونس سنة 1923م, ليصبح لاجئا و متنقلا بين الدول العربية والإسلامية كالقاهرة وبغداد وفلسطين والحجاز والخليج العربي والهند أفغانستان وإيران, وأثناء تنقله قام بربط الحركة الوطنية التونسية بقضايا الشرق العربي.[3]

---

[5]- يوسف مناصرية, مرجع سابق, ص 74.

[1]- غيلان سمير طه التكريتي, مرجع سابق, ص 191.

[2]- الهادي التيمومي, مرجع سابق, ص 675.

[3]- محمد علي داهش, دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر, مكتبة الكتاب الأكاديمي, عمان,(د.ت), ص 161.

قام الثعالبي بدعاية كبيرة وقوية في مختلف الأوساط العربية والإسلامية لصالح القضية التونسية ودعمها, وقد شارك في مؤتمر فلسطين سنة 1930م وانتخب كعضو بلجنته التنفيذيّة, وكان موطن الاحترام في كلّ الأوساط الّتي تذكر فضله ونشاطه في قضايا العرب.[1]

وخلال سنة 1924م وسّع الحزب الدستوري نشاطه لدى الجماهير التونسيّة, ولا سيما الطبقات الكادحة وقد كان قادة الحزب الّذين ينتمون إلى الطّبقة الارستقراطيّة والبرجوازيّة بالمدن لا يختلطون بعامّة الشّعب, وبهذا أحسّ الحزب بالخطر وأكّد على أنّه الوقت المناسب من اجل الاتصال والتقرب للطبقات الشعبيّة, ويتم ذلك من خلال النقابات العمّالية, وكانت الحركة النقابية التونسيّة منطوية تحت لواء الجامعة الفرنسيّة, وقد حاول محمد علي الحامي الانفصال عنها.

وتم في 12 أكتوبر 1924م إحداث جامعة عموم العملة التونسيّة من خلال المساهمات التي قام بها الحزب الدستوري ومحمد علي حامبه.

وفي 23نوفمبر 1925م نظمت تظاهرة للاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد **الكاردينال لافيجري**, وتناول فيها الكلمة المقيم العام **لوسيان سان**, وتم الاحتفال في البلاد الإسلاميّة ولوضع حد لهذه الاهانة الّتي وجّهت للمسلمين قام طلاب جامع الزيتونة[2]في 28نوفمبر 1925م بتنظيم مظاهرة لمواجهة هذه الاهانة, ومن ذلك التاريخ إلى غاية 1930م تخلّى الحزب الدستوري عن تنظيم المظاهرات بالشارع.

وصفوة القول أنّ الحزب الدستوري عرف منذ تأسيسه سنوات مليئة بالعواصف والخيبات, وهو في حاجة إلى إعادة النّظر في طرق عمله,[3] حيث دخلت الحركة الوطنيّة في فترة من الرّكود والخمول من 1926م إلى غاية 1929م, وهذا الفتور في الأساس يرجع إلى تحسن الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة الّذي شهدته تونس في هذه الفترة.[4]

---

[1]- علال الفاسي, مرجع سابق, ص 67.

[2]- **جامع الزيتونة**: أول مسجد في تونس أحدثه العرب الفاتحون خلال فتح تونس سنة 698م, كان بسيطا فقام الأمير عبيد الله بن الحبحاب والي افريقية سنة 732م بتوسيع الجامع وإحكام وضعه على أساس فخم, كانت هندسة بناء هذا الجامع موافقة تماما لبقية جوامع افريقية الشمالية, سواري المرمر الملون المقامة عليها أقواس بيت الصلاة جيء بها من أنقاض قرطجنة, وأبوابه احكم صنعها من عود الصندل حوالي القرن 15م, وقد كان آخر ترميم حصل بالجامع في عام 1939م, وكان التعليم فيه أساسه القران والسنة.ينظر, محمد بن الخوجة, صفحات من تاريخ تونس, تحقيق: حمادي الساحلي, ط 1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1986م, ص ص284-290.

[3]- احمد القصاب, مرجع سابق, ص ص 523-524.

[4]- الحركة الوطنية التونسية بين الحربين, مرجع سابق, ص 87.

وبذلك قرّر الحزب الدستوري الحر الاستمرار في انتظار الظروف المناسبة, فالأمر يتعلّق بتراجع تكتيكي أكثر ممّا يتعلّق بخمود الحركة الوطنيّة الدستوريّة, بحيث أنّ الوطنيّين التونسيّين لم ينسحبوا كلّيا من الساحة السياسيّة.[1]

[1]- احمد القصاب, مرجع سابق, ص 530.

المبحث الثاني: المواقف الوطنية و الفرنسية من تأسيس الحزب

1-موقف الباي محمد الناصر:

ساند محمد الناصر الحزب الدستوري الحر والتحق به ابنه الأكبر محمد المنصف باي, وكان الناصر من بين المعارضين للإصلاحات التي جاءت بها سلطة الحماية واعتبرها إصلاحات مزيّفة حضّرها الفرنسيون لامتصاص غضب الشعب التونسي.[1]

وعرف محمد الناصر باي بحبه للإصلاح, كذلك مساندته للمطالب الدستوريّة ما جعل الحزب الحر الدستوري يرسل وفدا لكسب تعاطفه, وكان من بين ما قام به الناصر هو تقديم مجموعة من المطالب كشرط لتراجعه عن التّنازل عن العرش, وكانت مطالبه مشتملة على المطالب الّتي قدّمها الحزب الدستوري,[2] حيث وعد الدستوريين على تلبية مطالبهم, وفي هذا الصدد قال" كونوا على ثقة بأنّي سأبذل مجهوداتي في تحقيق رغائبكم ولا أظنّ رجال فرنسا الممتلئ تاريخها بالعدل والحريّة يبخلون بانجاز هذه المطالب ".
والظاهر أنّ الباي لم يكن يثق في سلطة الحماية, بل كان يقصد حكومة باريس التي تملك سلطة القرار.[3]

وكانت أهم مطالبه:

1. مجلس تشريعي منتخب بالانتخاب العام وموافقة الباي عليه.
2. يكون جميع الوزراء ومستشاروهم تونسيون وتحذف عبارة (إدارة) و تعوض بعبارة (وزارة).
3. التعليم الإجباري.
4. احترام الهيئة الشرعيّة و الهيئة العدليّة مع التحقيق التام.
5. تشجيع الحكومة للأهالي على المشاريع العامة كالفلاحة والتجارة.[4]

وفي أفريل 1922م قدم الناصر باي برنامجا للمقيم العام يطالب بالإضافة إلى المطالب

---

[1]- غيلان سمير طه التكريتي, مرجع سابق, ص 190.
[2]- التليلي العجيلي, الطرق الصوفية والاستعمار بالبلاد التونسية (1881-1939), مجلد 2, منشورات كلية الآداب بمنوبة, 1992م, ص 228.
[3]- يوسف مناصرية, مرجع سابق, ص137.
[4]- جذور الحركة الوطنية التونسية, مرجع سابق, ص ص 308-309.

الدستوريّة بإرجاع الأملاك الّتي خصّصت للاستعمار الزراعي و إعطائه كلّ الحق في اختيار وزرائه, كما قدّم إنذار للسلطات الفرنسيّة بتخلّيه عن العرش إن لم يتم الموافقة على هذه المطالب.

وفي 5 أفريل وقعت مظاهرة كبيرة نحو المرسى لمطالبة الباي محمد الناصر بأن يتراجع عن قراره, لكن كلّ المجهودات الّتي بذلها وكلّ الحماس الذي أظهره لم يدم طويلا, حيث خلفه ابن عمّه محمد الحبيب باي,[1] وقد وافته المنيّة في جويلية 1922م.[2]

2-موقف الطرق الصوفية:

كان من بين مواقف الطرق الصوفيّة موقف شيخ زاوية الطريقة التجانيّة **ببوعرادة** الّذي قام بتشويه المطالب الوطنية, وعمل على كشف كلّ المتعاطفين مع الدستور والمساندين لمطالبه, ولعلّه يقصد بذلك الباي محمد الناصر وقد وصف الدستوريين بأنّهم أعداء والده وأعداء السلطات الفرنسيّة.

و قد سعى ببوعرادة إلى كشف الدستوريين والمسؤوليات الّتي يتحمّلونها, ويظهر ذلك من خلال الرّسالة الّتي أرسلها إلى وزير الحربيّة الفرنسيّة يقول فيها : " إنّ الدستوريين أصبح منهم القايد والخليفة, كما صاروا في حاشية البايات, والوزير الأول, وفي الداخليّة..., والعدليّة, وفي كلّ مكان تبعا لسياسة المقيم العام... ", ويشير كذلك في رسالته إلى المقيم العام الفرنسي إلى أن البلاد التونسية تمّ تخريبها من طرف الدستور, ولم يكن ببوعرادة وحده, بل سانده في ذلك أحمد قدّور شيخ الزاوية القادريّة بالكاف وأظهر هو الآخر عداءه للحزب الدستوري الحر.[3]

---

[1]- **محمد الحبيب**: (1902-1980) الفقيه الأديب, الكاتب المسرحي ينحدر من سلالة تركية نزلت البلاد التونسية, و بها ولد و نشا وتلقى تعليمه, وهو شخص خصب المواهب متعدد الجوانب, نشا في بيئة متأثرة بالتربية الإسلامية, حفظ القران الكريم, والتحق بجامع الزيتونة, وظهرت تباشير نبوغه فكتب في مجلة " البدر " قبل العشرينات وقد استمر في الكتابة بالصحافة إلى أخر حياته, انغمس في الفن المسرحي, وكان له روايات مسرحية كثيرة منها: طارق بن زياد والواثق بالله الحفصي. ينظر, محمد محفوظ, تراجم المؤلفين, ج2, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1982م, ص ص88-89.

[2]- احمد القصاب, مرجع سابق, ص ص 515-518.

[3]- التليلي العجيلي, مرجع سابق, ص ص229-230.

3-موقف الفرنسيين من الحزب:

سعت سلطات الحماية الفرنسيّة إلى إحباط عمل الحزب الدستوري الحر, من خلال الحدّ من حرّية الصحافة, وسنّت قوانين خاصة حيث ألزمت أصحاب الصّحف إبلاغ السلطات الفرنسيّة كتابيّا, ولا يمكن أن تصدر أي صحيفة دون أن توافق عليها الدوائر المختصة, ولم تكتفي بذلك بل حرضت الوطنيين التونسيين على الانشقاق على جماعة الثعالبي والسعي لتأسيس الحزب الإصلاحي.

كان من بين الذين ساهموا في تأسيس هذا الحزب الجديد: **محمد نعمان وحسن قلاتي**, بحجة أنّ قيادة الحزب الدستوري ضعيفة وغير قادرة على تكييف مطالبها مع الظروف الراهنة, وتمّ تأسيس الحزب الإصلاحي في 16أفريل 1921م ليكون منافسا للحزب الدستوري بتشجيع من المقيم العام لوسيان سان الذي استغل اختلاف الآراء بين القادة في الحزب الدستوري الحر, غير أنّ الحزب الإصلاحي لم يدم طويلا وحسب لوسيان سان فقد أوشك على الانهيار في مارس 1922م.[1]

عملت السلطة الفرنسيّة على انتهاج سياسة القمع, ونتيجة لذلك بدأت الحركة الوطنيّة تتدهور , وفي سنة أفريل 1922م عرفت أزمة حادة, وسعى خلالها المقيم العام إلى فكّ التحالف والاتفاق الحاصل بين الباي محمد الناصر والحزب الدستوري الحر, إضافة إلى عزل الحركة الشيوعيّة من خلال إيقاف جرائدها عن الصدور مثل جريدة le cri du soir وإبعاد زعمائها.[2]

وبعد كّل هذه الأحداث قرّرت السّلطات الفرنسيّة تقديم بعض التنازلات خوفا من اتّساع نطاق الحركة الوطنية التونسية وازدياد نشاطها, فقررت في جويلية 1922م إصدار مراسيم الإصلاحات, ومن خلالها تمّ استبدال مجلس الشورى بالمجلس الكبير,[3] الّذي يعتبر هيئة منبثقة عن المجالس المحلية, وقد سرّ حسن القلاتي والحزب الإصلاحي التي قدّمتها فرنسا واعتبر ذلك مرحلة ايجابيّة, أمّا بالنّسبة للحزب الدستوري كان رافضا لهذه

[1]- الحركة الوطنية التونسية, مرجع سابق, ص 70.
[2]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص 90.
[3]- غيلان سمير طه التكريتي, مرجع سابق, ص 190.

الإصلاحات فعارضها ووجه عدّة انتقادات لها, وبقيت مطالب الحزب الدستوري مجرد حبر على ورق, لأنّ الإصلاحات الّتي أقرّها لوسيان زادت من حدّة الأزمات واتّساع الخلاف الحاصل بين الإصلاحيين والدستوريين, وواصل الحزب الدستوري نشاطه من خلال الدعاية والاجتماعات, ووجّه نضاله إلى واجهة التجنيس,[1]وعمل على إبعاد التونسيين عن الجنسيّة الفرنسيّة, واعتبر كلّ متجنس جثّة قذرة ولا يمكن دفنه في المقابر الإسلاميّة, وكان مشروع التجنيس موجّها ضدّ الشعب من أجل القضاء على الشخصية الوطنية والأخلاقية وضدّ الحزب الدستوري لإخماده.[2]

[1]- احمد القصاب, مرجع سابق, ص ص 519-521.
[2]- يوسف مناصرية, مرجع سابق, ص 175.

الفصل الثاني:

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري الجديد 1934- 1939

المبحث الثاني: نشاط الحزب 1934– 1939ودور بورقيبة فيه

الفصل الثاني: الحزب الدستوري الجديد من 1934إلى 1939

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري الجديد 1934

استطاعت مجموعة من الشباب الدّارسين في فرنسا عام 1934 التأثير في برامج الحزب الدّستوري الحّر, وكان من بين هؤلاء الشباب: **الحبيب بورقيبة, محمود الماطري, الطاهر صفر**[1] **والبحري قيقة.**

هؤلاء قاموا بتبنّي إستراتيجيّة مؤسّسة على تنظيم الجماهير وتعبئتها, وذلك من خلال التّأكيد على ضرورة تشديد النّضال ضدّ الفرنسيّين, كذلك التّأكيد على الاهتمام بالقضايا الاقتصاديّة الاجتماعيّة للشّعب الّذي عانى من الأزمات الاقتصاديّة منذ عام 1930م.[2]

وفي أواخر سنة 1932م بدأت الحوادث المنجرّة عن مسألة التّجنيس, حيث اعتبر الشعب أنّ كلّ من يتجنّس بالجنسيّة الفرنسيّة ليس له الحقّ في المقابر الإسلاميّة التونسيّة, وقد تعدّدت وكثرت الحوادث العنيفة كلّما مات مسلم متجنّس, وإثر ذلك تدخّلت الصّحافة الوطنيّة فشنّت حملة عنيفة حول قضيّة التّجنيس, وجعلت مستوى الحوار يرتفع إلى مناقشة بقاء الأمّة وتلاشيها.[3]

قاومت مجموعة الشباب قانون التّجنيس وبالأخّص الطاهر صفر* الذّي تصدّى لهذا القانون وقاومه بحجة انه يهدف إلى تنصير العرب وفرنستهم والقضاء على الشخصيّة الوطنيّة والقوميّة, فتوجّه الشّعب متضامنا مع الطاهر صفر, و قام بمنع دفن المتجنّسين بالجنسيّة الفرنسيّة بالمقابر التونسيّة كما ذكرنا سابقا[4].

---

[1]- **الطاهر صفر**: الطاهر بن مصطفى صفر المناضل السياسي ورجل القانون, ولد بالمهدية من إقليم الساحل التونسي في نوفمبر 1903م, نشا بها وتلقى تعليمه الثانوي بالمدرسة الصادقية, كان من رفقاء الرئيس بورقيبة منذ تأسيس الديوان السياسي الأول للحزب الدستوري الجديد, نفي إلى برج لوبوف وسجن مرارا من اجل القضية الوطنية. ينظر, محمد محفوظ, تراجم المؤلفين التونسيين, ج 5, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1986م, ص 242.

[2]- محمد علي داهش, دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 2004م, ص 48.

[3]- محمد الهادي الشريف, تاريخ تونس, تعريب: محمد الشاوش, ط 3, دار سراس للنشر, 1993م, ص 119.

[4]- الطاهر عبد الله, الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة, ط2, دار المعارف للطباعة والنشر, تونس,(د.ت),ص 57.

وأنشأت مجموعة الطاهر صفر والماطري جريدة باسم "**جريدة العمل**", وقد أسندت إدارة هذه الجريدة إلى **الحبيب بورقيبة**,[1]وكانت تعالج موضوعات اجتماعيّة واقتصاديّة, ومنها الدّعوة إلى تشجيع الصناعة القوميّة, وكذلك التفريق بين الموظفّين التونسيّين والموظفّين الفرنسيّين في الأجر, إضافة إلى أنّ الجريدة اهتمّت خاصّة بموضوع تحرير المرأة من الماضي وتقاليده, ومنحتها فرصا للتعليم والتعلّم, لكن المحافظين القدامى لم يولوا أيّ اهتمام بهذه الجريدة.[2]

و بانعقاد **مؤتمر الجبل في مايو 1933م**, أنظمت مجموعة من الشباب على رأسهم **بورقيبة** إلى عضوية اللّجنة التنفيذيّة, [3]حيثالقى بورقيبة خطابا لخّصه في مقال صدر بجريدة "**العمل التونسي**" في 15ماي 1933م[4] قال فيه:

"منذ زمن قريب كان من اثر الحركة الواسعة التّي أحدثناها في الأمّة التونسيّة أن استغلّت الأفكار بمسألة إتّحاد كلّ المناضلين وكلّ القطاعات وكلّ قوى المقاومة الوطنيّة, وكان ذلك نداء صاخبا نابعا من أعماق البلاد التّي لا تغفر لنخبتها أن تشتّت جهودها من الأحداث الخطيرة التيّ جدّت أثناء الأسابيع الأخيرة, وخصوصا من عزم الحكومة على القضاء قضاء ميرما على الحركة الوطنيّة التونسيّة أن اقتنع أشدّ النّاس تعنّتا بضرورة قيام جبهة موحّدة في وجه المساعي الخادعة... ".[5]

وبانعقاد هذا المؤتمر تزايد نشاط الحركة الوطنية, وساد التّضامن بين قادة الشعب, و عندما رأت السّلطات الفرنسيّة ذلك قرّرت اتّخاذ تدابير صارمة لإيقاف نشاط الحركة الوطنيّة وإخمادها, إضافة إلى أنّها أصدرت قرارا آخر يقضي بإنشاء مقابر خاصة بالمتجنسّين التونسيّين, بعد أن رفض الشعب التونسي دفنهم في المقابر الإسلاميّة, ولم تكتف بذلك فحسب, بل عطّلت الصّحافة الوطنيّة.[6]

---

[1]- الطاهر عبد الله, مرجع سابق, ص57 .

[2]- صلاح العقاد, المغرب العربي دراسة تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة (الجزائر- تونس- المغرب الأقصى), مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, (د.ت), ص 230.

[3]- محمد علي داهش, مرجع سابق, ص 48.

[4]- خليفة الشاطر وآخرون, تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال, , الجزء 3, مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية, تونس, 2005, ص 100.

[5]- قدادرة شايب, الحزب الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري (1934-1954). دراسة مقارنة, أطروحة دكتوراه, جامعة منتوري, قسنطينة, 2005. ص 130.

[6]- الحبيب ثامر, هذه تونس, تحقيق: حمادي الساحلي, ط1, دار الغرب الإسلامي, لبنان, 1988م, ص ص91-92.

وسعت إلى منع صدور الجرائد التونسية, وتغيّرت الأوضاع نسبيّا بعد تعيين المقيم العام الفرنسي الجديد "**بيروطون**", حيث رخّص صدور بعض الجرائد, وبدأت الخلافات بين المسيّرين للحزب, وحدث الانقسام, ما أدّى إلى استقالة بورقيبة, وتمّ عقد مؤتمر في **قصر هلال في 2مارس 1934م.**[1]

دعي إلى هذا المؤتمر أعضاء اللّجنة التنفيذيّة, بالإضافة إلى دعوة الشّعب الدستوريّة, عقد في مدينة قصر هلال على الساعة التاسعة صباحا من يوم الجمعة 1 ذي القعدة سنة 1352هـ, وبناء على قرار اللّجنة الوقتيّة تمّ حدوث انشقاق داخل الحزب الدستوري, حيث خالف موقف اللّجنة التنفيذيّة حوالي خمسين شعبة و استجابوا للّجنة الوقتيّة,[2]ولم يهتم كثيرا هذا المؤتمر الذي من خلاله نشأ الحزب الدستوري الجديد بتحديد برنامج سياسي, غير أنّه انصّب اهتمامه على صياغة قواعد أساسيّة جديدة للحزب تمثّلت في: التّنظيم المحكم والانضباط التّام داخل الحزب, لكن في الوقت نفسه كانت هناك ديمقراطيّة شاملة داخله, وقد تمّ الإعلان عن مقاطعة اللّجنة التنفيذيّة وبرز مكتب سياسي عيّن فيه **الماطري** رئيسا و**بورقيبة** أمينا عاما.[3]

انشق الحزب بين القيادات القديمة للحزب الدستوري القديم والقيادات الجديدة للحزب الدستوري الجديد, حيث قامت المجموعة الشابّة الجديدة بإلقاء التّهم على القيادات القديمة بسبب قلّة اهتمامها, علاوة على ذلك الدّعاية بين الجماهير, ومن خلال ذلك تمّ **تأسيس الحزب الدستوري الجديد.**

استمر قادة كلا الحزبين في نشاطهما وبقيا يعملان على الطابع الإصلاحي أثناء هذه المرحلة, حيث تعرّض قادة الحزبين للنّفي الاعتقالات,[4]ولم يعترف أعضاء اللّجنة التنفيذيّة بهذا الانتخاب واستمروا في العمل باسم الحزب الدستوري القديم. [5]

[1]- بلقاسم بن محمد بن جراد, قابس عبر التاريخ, (د.ط), المدرسة المراديّة, (د.م), 1999م, ص249.
[2]- علي المحجوبي, جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934), تعريب: عبد الحميد الشابي, ط1, المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون" بيت الحكمة ", تونس, 1999م, ص568.
[3]- محمد الهادي الشريف, مرجع سابق, ص 122.
[4]- محمد علي داهش, مرجع سابق, ص48.
[5]- الحبيب ثامر, مصدر سابق, ص92.

وحتى يتمّ التّمييز بين الحزب الدستوري القديم والحزب الدستوري الجديد أعطى بورقيبة لهيئته اسم **(الدّيوان السياسي)**, وشرع الحزب في نشر الدعوة لتكوين هياج شعبي من أجل الضغط على الإدارة حتى تعترف بالحقوق.[1]

[1]- علال الفاسي, الحركات الاستقلالية في المغرب العربي, ط6, مؤسسة علال الفاسي, الدار البيضاء,2003م, ص76.

المبحث الثاني:نشاط الحزب الدستوري الجديد 1934-1939 ودور بورقيبة فيه

بعد تأسيس الحزب الدستوري الجديد تمكّن من مدّ فروعه في كامل أنحاء تونس, حيث أنّه شرع في استقطاب عدد كبير من الوطنيين, وأحدث هذا الحزب هزّة في تاريخ الحركة الوطنيّة التونسيّة وفي تاريخ الحزب الدستوري, باعتبار أنّه سمح بانتعاش الوعي الوطني وبروز جيل جديد مسلّح بفكر جديد وتصوّرات سياسيّة متماشية مع ظروف العصر.[1]

شرع هذا الفريق الجديد في العمل, وذلك من خلال عقد عدّة اجتماعات في كلّ أنحاء البلاد, ممّا أثار تخوّف السلطات الفرنسيّة واعتبرته قوّة تبعث على القلق, حيث قامت بإيقاف نشاط الحزب وعملت على عرقلة مسيرته.[2]

انحصر نشاط الحزب تدريجيا في الاجتماعات الخاصّة التّي يعقدها بعض الأعيان النبلاء, زيادة على ذلك شنّ إضرابات متكررّة, وسعى الحزب الجديد إلى الامتناع على دفع الضرائب للسلطات الفرنسيّة ومقاطعة بضائعها, والهدف من كلّ ذلك دفع الفرنسيين على التفاهم, ممّا أدّى إلى استعمال القوّة والعنف من قبل **بيروطون**[3]الذي أعطى أوامر في 3 سبتمبر1934م للقبض على زعماء الحزب الجديد, وكان على رأسهم **الحبيب بورقيبة ومحمود الماطري**[4] و غيرهم من الزعماء, حيث تمّ نقلهم إلى الجنوب التونسي , ولم يكتفي بذلك فحسب بل سعى إلى إيقاف صدور الجرائد التونسيّة منها جريدة "**العمل**", ورغم العراقيل المشاكل الّتي واجهت الزعماء, غير أن بورقيبة تمكّن من دعم الحزب من خلال الاتّصال بالحزب وحثّ المناضلين على المثابرة وعدم الاستسلام.[5]

---

[1]- عز الدين معزة, فرحات عباس والحبيب بورقيبة" دراسة تاريخية وفكرية مقارنة" 1899-2000م, أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة منتوري, قسنطينة, 2009م, ص 117.

[2]- محمد الهادي الشريف, مرجع سابق, ص 112.

[3]- **بيروطون**: عينته الحكومة الفرنسية سنة 1934م مقيما عاما لفرنسا بتونس, وقد كان رجلا مستبدا وفي بعض الأحيان عنيفا. ينظر, الصادق الزمرلي, أعلام تونسيون, تعريب: حمادي الساحلي, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1986م, ص 358.

[4]- **محمود الماطري**: (1897-1972) الطبيب والمناضل ورجل السياسة, ولد بمدينة تونس انخرط في كلية العلوم والمدرسة الطبية بمدينة ديجون بفرنسا. وفي سنة 1923م انخرط في السنة الرابعة من كلية الطب بباريس, ولافتقاره إلى الإعانة المالية فقد استغل شهاداته العلمية لإعطاء دروس خاصة في بعض المدارس الحرة اللائكية أو الدينية, تحصل سنة 1926م على شهادة الدكتوراه في الطب بملاحظة مشرف جدا. ينظر, الصادق الزمرلي, مرجع نفسه, ص ص 355-356.

[5]- احمد القصاب, تاريخ تونس المعاصر(1881-1956), تعريب: حمادي الساحلي, ط1, الشركة التونسية للتوزيع, تونس, 1986م, ص551-552-553.

وبسبب اعتقال هؤلاء القادة عمّت الاضطرابات في كّل أنحاء البلاد وتوالت الاصطدامات بين الشّعب التونسيّ والقوّات الفرنسيّة المسلّحة, ودام هذا الاضطهاد سنتين بدون انقطاع, وازدادت مقاومة التّونسيين وازداد الوعي القومي لديهم, لكنّ السلطة الفرنسيّة غيّرت سياستها المرتكزة على العنف والقوّة والتعسّف ورأت أنّ تلك السياسة لا تجدي نفعا, كما كانت هيئة الحزب الّتي تعمل في باريس تضغط على بيروطون بمساعدة أحزاب اليسار الفرنسيّة, وكلّ هذا أدّى إلى فشل السياسة الفرنسيّة, غير أنّ هذه الأخيرة لم تستسلم فعيّنت سنة 1936م مقيم عام آخر وهو "**غيون**" فكان هذا تغييرا لسياستها في تونس.[1]

بدأ "أرمان غيون" بتطبيق هذه السياسة , وكان أوّل شيء قام به هو إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين, وبذلك استعادت الحركة الوطنيّة التونسيّة قوّتها, كما أنّه اتصل بالزعماء الوطنيين ذوي النزعة الفرنسية, فبرز الحزب الدستوري الجديد وبرز الحبيب بورقيبة[2]الّذي تبنّى سياسة قائمة على مبدأ "خذ وطالب" أو سياسة "المراحل".

في سنة 1936م سافر الحبيب بورقيبة إلى باريس, واتّصل بالدوائر الفرنسيّة, حيث قدّم مجموعة من المطالب من بينها: منح تونس برلمانا وحكومة مسئولة لدى البرلمان.[3]

تحدّث المقيم العام "غيون" مع "بورقيبة" ورفاقه, وفي هذا الصّدد يقول بورقيبة: "زارنا المقيم الفرنسي الجديد أرمان غيون وتقابلنا معه في مكتب المراقب وبيّنت لوجهة نظرنا مؤكدا له أنّنا لا نعادي فرنسا, وإنما نطالب بحقوق, وعبّرت عن الأمل أن يقع التوفّق– بمساعدته– إلى حل مرحلي معقول, ووجد تدخلي هذا أذانا صاغية إذ سرعان ما ألغيت جميع الأوامر الّتي كانت تقيّد الحريات, غير أنّ السلطات الفرنسيّة بقيت تحثّ على تجنّب التشويش وتمانع في السّماح بعقد الاجتماعات وقلت إنّ ذلك ليس ما يصعدنا على متابعة العمل, وفي إحدى أيام ماي أعلمني المراقب أننا أصبحنا طلقاء, وأنّه بإمكاننا

---

[1]- الحبيب ثامر, مصدر سابق, ص ص93-94.

[2]- **الحبيب بورقيبة**: (1882-2001) ولد بالعاصمة التونسية, كان أبوه تركي الأصل يعمل في سلك الجند التركي النظامي, كان الشاب بورقيبة ضعيف البنية لكنه ذكي, حفظ القران الكريم. وقد التحق بجامع الزيتونة لمواصلة دراسات مطولة و شاقة, أنشا أول صحيفة عربية ظهرت في تونس بعد انتصاب الحماية الفرنسية, وهي جريدة " نتائج الأخبار ", ساهم بانتظام في تحرير جريدة "البرهان " ثم جريدة " النهضة ", وهو رجل مثقف ومتواضع. ينظر, الصادق الزمرلي, مرجع سابق, ص ص -299 295.

[3]- الطاهر عبد الله, مرجع سابق, ص 63.

العودة إلى ديارنا".[1]

عاد الحبيب بورقيبة إلى تونس في سبتمبر 1936م, وكان قد حقّق خطوة في الاتّجاه الصّحيح, وبعد سفره إلى باريس أصبح منافسوه يتّهمونه بأنّه صناعة فرنسيّة مسجّلة.وحاول بورقيبة إعادة إصدار جريدة "**العمل**" بشكل أسبوعي وقال لرفاقه: "إنّ حزبا بلا جريدة مثل رجل أبكم".[2]

وشمل العفو كذلك زعيم الحركة الوطنيّة و مؤسّسها **عبد العزيز الثعالبي**, واستبشرت كافّة الأوساط الوطنيّة بما فيهم قادة الحزب الدستوري الجديد الّذي أرسل بدوره **صالح بن يوسف**[3] لاستقباله في مرسيليا بفرنسا والعودة معه إلى تونس, وكان هدف هذه القيادة دعم الزعيم عبد العزيز الثعالبي لهم ضدّ الحزب القديم.

وفي سنة 1937م عقد المؤتمر الثّاني للحزب الدستوري الجديد,[4] ومن خلاله برز وتدعّم الشق الراديكالي, وطالب بتغيير برنامج الحزب وذلك بإضافة قضيّة استقلال البلاد التونسيّة بصفة رسميّة, وكان من أهمّ زعماء هذا الاتّجاه: **سليمان بن سليمان, الهادي نويرة, صالح بن يوسف, يوسف الرويسي, الحبيب بوقطفة, علي البلهوان,**[5] **والباهي الأدغم**, أمّا بالنّسبة للجناح المعتدل فقد تزعّمه **محمود الماطري الطاهر صفر والبحري قيقة**, وفيه تمّ معارضة الاتّجاه الأول, وقد تبنّى المؤتمر وجهة نظر المعتدلين خوفا من التصدّع داخل الحزب واتّخذ بورقيبة إثر ذلك دور الموفّق بين الاتّجاهين, وكما أكّد

[1]- عز الدين معزة, مرجع سابق, ص 183.
[2]- الصافي سعيد, بورقيبة سيرة شبه محرمة, ط1, رياض الريس للكتب والنشر, بيروت, 2000م, ص 110.
[3]- **صالح بن يوسف**: ولد في 11أكتوبر 1907م بمغوارة وترعرع في وسط عائلي محافظ وعلى قدر كبير من الثراء, كان والده قاسم بن يوسف وكان من "العشرة الكبار ", تعلم مبادئ القراءة والكتابة في الكتاب, حفظ القران الكريم وتعلم مبادئ الشريعة الإسلامية, تحصل لا على الشهادة الابتدائية في نهج التريبونال سنة 1922م, بدا نضاله ضدّ الاستعمار في وقت مبكر. ينظر, نجاة عبو, التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى احمد بن بلة وصالح بن يوسف "دراسة تاريخية مقارنة" 1945-1961م, رسالة ماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر, جامعة محمد بوضياف, المسيلة, 2014م, ص 53.
[4]- الطاهر عبد الله, مرجع سابق, ص ص 63-64.
[5]- **علي البلهوان**: (1909-1958) عبد العزيز بن علي البلهوان, الزعيم والمناضل السياسي, ولد بتونس في 13أفريل وتلقى تعليمه في الكتّاب, حيث حفظ القران الكريم واخذ مبادئ الكتابة, التحق بمدرسة خير الدين الابتدائية ومكث بها 7سنوات, ثم دخل المدرسة الصادقية في أكتوبر1924م, وقد عين أستاذا بالمدرسة الصادقية سنة 1935م, قام بعدة جولات دعائية لفائدة الحركة الوطنية, ووالى نشاطه في الحزب الدستوري الجديد. ينظر, محمد محفوظ, تراجم المؤلفين التونسيين, ج 1, ط 1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1982م, ص ص 118-119.

المؤتمرون على تأييدهم ودعمهم للحركات الوطنية في كل من الجزائر و المغرب الأقصى.[1]

وفي فيفري 1937م سافر الحبيب بورقيبة مرة أخرى إلى باريس من أجل إجراء حوار مع المسئولين الفرنسيين, وكذلك تقديم المطالب التونسية.

وفي أواخر فيفري قدم إلى تونس "**بيار فيانو**" للاطلاع على الأحوال هناك, وقد أقام فيها عشرة أيام وتوصّل إلى نتائج, حيث أشار إلى الإصلاحات الّتي تمنح التونسيون مسئولية تسيير شؤون البلاد, وتوسيع نطاق التعليم في كلّ أنحاء الوطن, وتدعيم الفلاح التونسي بوسائل العمل.

قبل الدستوريون بالإصلاحات التّي قدّمها "فيانو" رغم أنّها غير كافية في نظرهم, واجتنبوا المزايدات وعبّروا لفرنسا عن حسن نيّتهم, وقد سعى المستوطنون لمنع تطبيق هذا البرنامج, حيث أثاروا الفتنة والتوتّر وساد داخل البلاد وهذا صادف احتضار حكومة "بلوم" التّي تمّ الإطاحة بها في 21 أوت 1937م إضافة إلى إفلاس الجبهة الشعبيّة , ونتيجة لذلك خابت آمال الحزب الدستوري .[2]

وفي أوائل أفريل 1938م وقعت صدامات عنيفة بين الشعب التونسي والقوات الفرنسيّة, أدّت إلى مقتل العديد من الأشخاص وشملت مناطق مختلفة خاصة بنزرت,[3] وتم إيقاف سبعة أشخاص من بينهم **الحبيب بوقطفة**, واثر ذلك انعقد المجلس المليّ في 13-14 مارس 1938م الذي اقترح تنظيم مظاهرات من أجل الامتناع عن دفع الضرائب للفرنسيين والامتناع عن الخدمة العسكرية, ما أدّى إلى استقالة الطّاهر صفر.[4]

وفي 6 أفريل اعتقل الأستاذ صالح بن يوسف والهادي نويرة, وذلك أثناء قيامهم

[1]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص ص 109-110.

[2]- احمد القصاب, مرجع سابق, ص ص 559-560.

[3]- **بنزرت**: مدينة صغيرة بتونس وميناء البحر المتوسط, أقيمت بالقرب منها قاعدة عسكرية فرنسية, وكانت مسرحا لمعارك عسكرية أدت إلى أزمة سياسية كبرى بين تونس وفرنسا, وعندما نالت تونس استقلالها عام 1956م اخذ الفرنسيون بالجلاء عن القطر حتى عام 1958م, لكنهم ظلوا محتفظين بالقاعدة العسكرية في بنزرت مؤقتا. ينظر,عبد الوهاب الكيالي, موسوعة السياسة, ج 1, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, (د.ت), ص 566.

[4]- جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934), مرجع سابق, ص 112.

بجولة دعائيّة في منطقة الكاف,[1] غير أنّ الحزب لم يبقى صامتا وقرر التّصدي لتعسّف السلطات الفرنسيّة, وكانت ردّة فعله عنيفة حيث نظّم سلسلة من المظاهرات, وكان ذلك في 8أفريل 1938م, وقد أظهرت قوة الحزب وتكتل الشعب حوله, وهنا قررت السلطات الفرنسية إضعاف الحزب والقضاء عليه نهائيا.[2]

ففي 9 أفريل 1938م قامت باعتقال علال البلهوان, واثر اعتقاله عمّت اضطرابات كبيرة أدت إلى سقوط العديد من القتلى والجرحى,[3] وبعد بضعة أشهر انتظمت الحركة الوطنية من جديد تحت قيادة الحبيب ثامر,[4] حيث تشكلت شعبا للحزب الدستوري الجديد في كافة المدن والقرى وذلك كله في نظام سري محكم, وقد كانت تقام من وقت لأخر مظاهرات احتجاجا على العنف الذي تقوم به السلطات الفرنسيّة في تونس, وكانت أوّل مظاهرة في نوفمبر 1938م بمناسبة قدوم المقيم العام الفرنسي الجديد "**إيريك لابون** "[5]وقد شارك فيها عدد من السيّدات اللائي القي القبض عليهن.

وسمح المقيم العام الجديد بإصدار بعض الجرائد ذات الصبغة الوطنيّة ومنها جريدة "**تونس الفتاة** " وجريدة " **تونس** ", وفي هذه الأثناء كانت الحرب العالمية الثانيّة على الأبواب, حيث ظهرت مطامع ايطاليا من أجل الاستيلاء على تونس.

وفي جانفي 1939م قام الشّعب التونسي بمظاهرات للمطالبة بالاستقلال والتعبير عن رفضه لتصرّفات فرنسا في بلاده, وعمّت هذه المظاهرات كلّ من **بنزرت, صفاقس,**

---

[1]- **الكاف**: مدينة من مدن البلاد التونسية, وهي عاصمة لولاية تشمل 306.000نسمة, تقع بمنطقة التل العالي, وقد ورد ذكر اسم المدينة لأول مرة في النصوص القديمة سنة 241ق.م في معرض الحديث عن الجند المرتزقة الذين وجهتهم إليها قرطاج على اثر الحب البونية الأولى, وقد ظهر اسم الكاف لأول مرة عند المؤرخ ابن أبي الدينار. ينظر, محمد الطالبي, في تاريخ افريقية, (د.ط), المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة ", تونس, 1994م, ص ص 163-164.

[2]- الحبيب ثامر, مصدر سابق, ص ص 96-97.

[3]- علال الفاسي, مرجع سابق, ص 84.

[4]- **الحبيب ثامر**: (1909-1949) الطبيب والزعيم السياسي المناضل, ولد بتونس و زاول تعليمه الثانوي بالمدرسة الصادقية إلى أن أحرز على دبلومها, ثم سافر إلى باريس والتحق بكلية الطب, وتحصل على الدكتوراه في الطب, عاد إلى تونس سنة 1938م على اثر حوادث 9أفريل, ترك تأليفا وحيدا وهو " هذه تونس " المطبوع بالقاهرة سنة 1948م, وهو كتاب تاريخ البلاد لا سيما في العصور الحديثة. ينظر, محمد محفوظ, ج1, مرجع سابق, ص ص 211-212.

[5]- **إيريك لابون**: كان طويل القامة نحيفا , تعلو وجهه المعظم الابتسامة, وبالرغم من انتسابه إلى السلك الدبلوماسي, فلم يكن محافظا ولا مقلدا ولا يتردد عن الحفلات بل يفضل التنافس مع الأخصائيين على حضور حفل استقبال, وبذكائه كان يحكم على الرجال وعلى الأشياء بدون شفقة, ولا يخشى التصريح بذلك الحكم, وقد ظهرت فراسته العجيبة في التقارير التي قدمها عن الحالة في موسكو. ينظر, شارل أندري جوليان, إفريقيا الشمالية تسير القوميات والسيادة الفرنسية, ترجمة: المنجي سليم وآخرون, الدار التونسية للنشر, تونس, 1976م, ص 115.

باردو وتونس وكل المناطق التي حل بها الرئيس الفرنسي "**دلاديه** ",[1] وقد اعتقلت السلطات الفرنسية العديد من الوطنيين و استعملت ضدهم أساليب تعسفية عنيفة, بالرغم مما أقدمت عليه فرنسا إلاّ أنّ الحركة الوطنية اشتدت أثناء الحرب الأخيرة, كما بلغ الاضطهاد الفرنسي أشدّه, حيث امتلأت السجون والمعتقلات في تونس والجزائر بألوف من الوطنيين التونسيين.[2]

[1]- **دلاديه**: (1884-1971) سياسي ورجل دولة فرنسي, اشترك في حرب 1904م, وهو عضو الحزب الاشتراكي الراديكالي, ترأس الوزارة 1938م, وقع مع هتلر اتفاقية ميونيخ, ابعد عن الحكم واعتقلته حكومة فيشي وحاكمته, أفرج عنه في سنة 1945م وأصبح عضوا في الجمعية الوطنية حتى توفي 1958م. ينظر, عبد الوهاب الكيالي, موسوعة السياسة, ج 2, دار الهدى للنشر والتوزيع, بيروت, ص 644.

[2]- الحبيب ثامر, مصدر سابق, ص ص 98-99.

الفصـــل الثالث:

المبحث الأول :

دور التونسيين في الحرب العالمية الثانية

المبحث الثاني :

موقـــف الفرنســـيين مـــن الحركـــة الوطنيـــة التونسية خلال الحرب العالمية الثانية

المبحث الثالث:

نتـــائج الـــح ع2 علـــى العـــالم و الحركـــة الوطنيـــة التونسية.

الفصل الثالث: الحركة الوطنية التونسية والحرب العالمية الثانية

المبحث الأول: دور التونسيين في الحرب العالمية الثانية (1939-1945)

بالرّغم من الاعتقالات والأساليب التعسفيّة الّتي قامت بها السلطات الفرنسيّة, إلاّ أنّ الشّعب التونسي لم يستسلم ولم يفقد الأمل, وتمكّن من تضييق الخناق على الحكومة الفرنسيّة, وذلك بعد إطلاق سراح المعتقلين من طرف المقيم العام "إيريك لابون ", كما تواصلت الاجتماعات وتوالت العرائض والمناشير والمظاهرات.

وهنا نستعرض موقف التونسيين خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945):

أ-نشاط الحزب الدستوري الجديد أثناء الحرب العالمية الثانية:

بعد الضربات الّتي تلقّاها الحزب الدستوري الجديد, إلاّ أنّه استمرّ في نشاطاته ولم يرضخ للأوضاع السيّئة السائدة آنذاك, فقد حاول كلّ من **الحبيب ثامر والطيب سليم** المحافظة على انسجام هذا الحزب و حيويته من خلال المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين الوطنيين, ومواصلة الاجتماعات والمظاهرات كما ذكرنا سابقا, لكن ردّ السلطات الفرنسية كان عنيفا, حيث وجّهوا ضربات قوية لقادة الحزب الجديد فتمّ القبض عليهم في نوفمبر 1939م ومن بينهم "**الباهي الادغم, الهادي السعيدي, الهادي خفشة والبشير زرق العيون**",[1]وقد حاولوا تكوين الدواوين السياسية فظهر **الديوان السياسي الخامس** برئاسة الباهي الأدغم, وكون أعضاء هذا الديوان " لجنة المقاومة ", وكان الهدف من ذلك كسر الحصار الاستعماري الذي فرض على التونسيون, وقد حاول الفرنسيون إيقاف نشاط الديوان والقضاء عليه نهائيا.

في جويلية 1940م تمّ اعتقال الكثير من المناضلين في لجنة المقاومة, وردّ الوطنيون على ذلك بتنظيم المظاهرات في قصر هلال والكاف وكان ذلك في أوت 1940م.[2]

[1]- أحمد القصاب, مرجع سابق, ص ص 568-569.
[2]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص ص 113-114.

وبعد عودة الحبيب ثامر قام بتشكيل **الديوان السياسي السادس**, وكان أهمّ أعضائه "الطيّب سليم ورشيد إدريس... ", غير أنّه في 21جانفي 1941م تمّ اعتقال الحبيب ثامر والطيب سليم, وتمّ معاقبتها أشدّ عقوبة وهذه الأحداث لم تمنع الحزب الجديد المضيّ قدما, حيث واصل رشيد إدريس قيادة الحركة الوطنية وبذلك تكون **الديوان السياسي السابع** 1941م, واختار له أعضاء كما أسّسوا مجموعة سرية سميت " **اليد السوداء** " وذلك من أجل ضمان استمرارية المقاومة وعدم الاستسلام, وكان للديوان خليتان سريتان:

الأولى: كانت تهتم بالأمور السياسية وتقوم بتنظيم المظاهرات إضافة إلى توسيع نشاط الحزب الدستوري في كامل البلاد وأسندت الرئاسة ليوسف عاشور.

أمّا الثانية: فتهتم بالمقاومة وكانت تحت أمر **حسين التريكي**[1]الذي أسّس **الديوان السياسي الثامن** برفقة بلحسين جراد وسليمان آغة.

وكان للطلبة الزيتونيين دور كبير في الكفاح السري, ومن بين الأعمال التي قاموا بها توزيع المناشير المحرضة على المظاهرات والإضرابات, كما أصدروا صحفا غير معترف بها, لكن النتيجة كانت وخيمة حيث تعرّضوا للقمع والاضطهاد من طرف العدو الفرنسي.[2]

ب-نشاط المنصف باي وبورقيبة خلال الحرب العالمية الثانية:

بعد وفاة **أحمد باي** تولى **المنصف باي**[3]العرش في 19جوان 1942م وتمكن من كسب شعبية عظيمة, وكان بمثابة سدّ قويّ للحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية,

[1]- **حسين التريكي**: نشا بدمشق, وسكن تونس وتزوج فيها, حفظ القران الكريم وهو ابن 7سنين, له ضخامة ووجاهة ورسوخ في الفقه, أدبه كثير ومحاضراته حسنة, وكان من أهم مؤلفاته: شرح الشمسية في المنطق, شرح مختصر ابن الحاجب. ينظر, محمد محفوظ, ج 1, مرجع سابق, ص ص 174-175.

[2]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص ص 113-114.

[3]- **المنصف باي**: ابن سيدي الناصر باي المتقدم, وهو الملك الموصوف بصدق اللهجة, المتشبع بروح الإخلاص, حاول حماية شعبه في أصعب وقت عرفته البلاد, اعتلى الأريكة التونسية في حرب ضروس, وفي ولايته أنزلت الحكومة الأمريكية قوة عسكرية في الدار البيضاء المغربية وفي الجزائر بقيادة إيزنهاور. ينظر, حسن حسيني عبد الوهاب, تاريخ خلاصة تونس, ط 2, دار الكتب العربية الشرقية, تونس, ص186 .

وفي جويلية 1942م ظهر المنصف باي في مظهر القائد الحقيقي الذي أخذ يدافع عن الحقوق الشرعية للشعب التونسي بكل شجاعة وقوة. وفي شهر أوت 1942م عزم الباي على تقديم جملة من المطالب إلى السلطات الفرنسيّة تتضمّن إثنى عشر مطلبا أهمّها:

1. تمكين التونسيين من تولّي جميع الوظائف العموميّة.
2. التّساوي في الأجور مع الفرنسيين.
3. تأسيس مجلس استشاري تشريعي يتمثّل فيه العنصر التونسي تمثيلا لائقا.
4. تنظيم الإدارة المركزيّة من جديد في النّطاق التّونسي.
5. عودة المراقبين إلى وضعهم الأصلي ودورهم يقتصر على الرقابة.
6. التعليم الإجباري للتونسيّين وخاصّة تعليم اللّغة العربيّة.
7. انتزاع الملكيّة لفائدة الدولة من جميع الشركات ذات المصلحة العامة (كهرباء, وسائل النقل...).[1]

وبالرّغم من تأثير الدّعاية الألمانيّة– الايطاليّة على شعور الوطنيّين, غير أنّ المنصف باي التزم الحياد إزاء الحلفاء والمحور, وكان رافضا للأمر الّذي أصدره " فيشي " فيما يخص معاداة الحلفاء, وقام بإبلاغ روزفلت المستشار الألماني بقراره في 12نوفمبر1942م, وقد أرسل الحبيب بورقيبة رسالة إلى الحبيب ثامر في 8أوت 1942م, حيث كان معتقلا في سجن **سان نيكولا** يحذرهم من الانسياق وراء الدعاية الألمانيّة.

وفي جانفي 1943م قرّر المنصف باي تشكيل حكومة وطنيّة, وكان ذلك بعد إطلاق سراح المعتقلين الوطنيّين أعضاء الدّيوان السابع.[2]و اختار لها أعضاء من الحزب الدستوري بفرعيه القديم والجديد, فترأسّها محمد شنيق من الحزب الدستوري القديم,[3]وعندما

[1]- شارل أندري جوليان, إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية, ترجمة: المنجي سليم وآخرون, الدار التونسية للنشر, تونس, 1976م, ص ص118-119.
[2]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص 115.
[3]- صلاح العقاد, العرب والحرب العالمية الثانية, (د.ط), معهد الدراسات العربية العالمية, (د.م), 1966م, ص 152.

علمت السلطات الفرنسيّة بالأعضاء الّذين انضمّوا إلى الحكومة الوطنية أصيبت بالهلع, واعتبرت ذلك تحدّيا لها, كما قام كلّ من **الماطري ومحمد بدره والصادق الزمرلي**[1]بجمع ثلاث تيارات داخل الحكومة وهي تيارات الحركة الوطنيّة إضافة إلى أعيان البلاد, وهؤلاء شكّلوا محيط " المنصف باي ".[2]

أصبحت تونس مثل بقية دول شمال إفريقيا مسرحا عسكريا لعمليات الحلفاء بين 1942-1943م فنشبت فيها معارك بين ألمانيا والحلفاء, وقد حاول كلا الطرفين كسب التونسيين والتقرّب منهم للوصول إلى الغاية المنشودة, حيث عرض الألمان على المنصف باي إنهاء الحماية الفرنسيّة وضمّ مقاطعة قسنطينة الجزائريّة, لكن الباي رفض ذلك وطالب بإلغاء المرسوم الصادر في 1892م الذي يعطي الحقوق كاملة للفرنسيين في امتلاك أراضي الأوقاف التونسية,[3] ولم يكتفوا بذلك وسعوا إلى كسب زعيم الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة الذي نقل إلى السّجن العسكري في " **ليون** ", ورأى الضابط الألماني " **كلاوس باربي** " أنّ بورقيبة ورفاقه يمكن أن يساعدوه في تونس إن أطلق سراحهم, وبعد موافقة بورقيبة على ذلك تم نقلهم إلى مدينة **نيس** الفرنسيّة الجنوبيّة, وهناك أحسّ الحبيب بورقيبة أن الضّابط قد خدعه.

وفي يناير1943م سلّمهم إلى ايطاليا لأخذهم إلى روما,[4] وهناك حاولت الحكومة الايطالية إغراء بورقيبة وطلبت منه دعوة الشعب التونسي للوقوف بجانب دول المحور, لكن بورقيبة قدم شرطا مسبقا مقابل قبوله لذلك, وهو إعلان استقلال تونس ودعوة مؤتمر دولي للاعتراف به, وهذا ما لم تقبل به إيطاليا.[5]

---

[1]- **الصادق الزمرلي**: (1885-1983) التحق بالمعهد الصادقي في مقره القديم بنهج جامع الزيتونة, انخرط في جمعية قدماء الصادقية التي أسّسها سنة 1905م شارك في " مؤتمر إفريقيا الشمالية " في أكتوبر 1908م المنعقد بباريس ألقى في المؤتمر محاضرة حول "تعليم البنت المسلمة ", وبوفاته فقدت تونس أخر ممثل للحركة الوطنية التونسية الأولى. ينظر, محمد محفوظ, ج 5 , ص ص 13-14.

[2]- الصافي سعيد, مصدر سابق, ص 125.

[3]- عياشي عبد الكريم, دور منطقة شمال إفريقيا في تغيير موازين القوى أثناء الحرب العالمية الثانية, رسالة ماجستير, جامعة الوادي, 2013م, ص ص 121-122.

[4]- الصافي سعيد, مصدر سابق, ص 125.

[5]- صلاح العقاد, مرجع سابق, ص 154.

في 6 أوت 1943م تكلّم بورقيبة في " **إذاعة باري** " ودعا الشعب التونسي إلى الوحدة حول المنصف باي كما حذّره من بعض الأطماع الأجنبيّة, وهو يقصد بذلك ألمانيا و ايطاليا وقد أبدى بعض الوطنيين تعاطفهم مع الألمان, وعبّرت جريدة " الشباب "عن العداء الشديد الّذي تكنّه للفرنسيين.[1]

بعد عودة بورقيبة إلى تونس تعرّض لمشاكل كثيرة سبّبها الفرنسيون, وذلك بسبب إقامته بروما, حيث اتّهمته السلطات الفرنسيّة بتعاونه مع دول المحور, ورغم شهادة القنصل الأمريكي لصالحه إلاّ أنّه بقي متّهما, فكانت الإدارة الفرنسيّة تبحث عن الفرص الّتي تسمح لهم باعتقاله, فشعر بورقيبة بالمضايقات الفرنسيّة, و بسبب إصرارها على عدم قبول المطالب الوطنيّة, فكّر بالتوجّه نحو مصر,[2]حيث أنشئت فيها رابطة الدول العربيّة في مارس 1945م الّتي وضعت دستورا للنّظر في قضايا الدول العربيّة ومصالحها, والتّالي قرّر السفر بعد أن علم بالمنافع التي تعود على بلاده, فقام بالاتّصال بأمين الجامعة العربيّة "**عزام باشا** ", كما قام بجولة عبر العالم من أجل عرض القضيّة التونسيّة, ورغم كلّ العوائق الّتي واجهته إلاّ أنّه تجاوزها حتى وصل إلى القاهرة وفيها نظمّ أموره, وفتح مكتبا لحزبه لمواصلة نضاله.[3]

بعد مغادرة بورقيبة تونس واصل الحزب نشاطه مطالبا بالاستقلال, وخلفه في قيادة الحركة صالح بن يوسف مع أعضاء الديوان السياسي, ورغم كلّ المشاكل الّتي كان يسبّبها الفرنسيون استمرت الحركة الوطنيّة في النّضال بكلّ قوّة وشجاعة.[4]

[1]- احمد القصاب, مرجع سابق, ص ص592-593.
[2]- عبد الكريم غلاب, قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر, الجزء 3, ط 1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 2005م, ص ص 327-328.
[3]- عز الدين معزة, مرجع سابق, ص ص263-265.
[4]- الحبيب ثامر, مصدر سابق, ص105.

المبحث الثاني: موقف الفرنسيين من الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية

بعد الهزيمة الّتي لحقت بفرنسا سنة 1940م أمام ألمانيا, استطاعت استرجاع مكانتها وقرّرت التصدّي للوطنيين التونسيين, حيث شنّت عليهم حملة اعتقالات بحجّة تعاونهم مع دول المحور, وقد اشتدّ الاضطهاد والقمع الفرنسي ضدّ الوطنيين وظهرت ثورات عديدة من بينها (ثورة المرازيق في أواخر 1942م وبداية 1943), إضافة إلى ظهور حركات التمرّد والعصيان, وبسبب الجرائم الشّنيعة الّتي ارتكبتها فرنسا غادر مجموعة من الدستوريين إلى خارج الوطن في 3ماي 1943م لضمان مواصلة نضالهم أمثال: **رشيد إدريس والصادق بسباس وحسين التريكي** وغيرهم من أعضاء الحركة الوطنيّة, حيث توجّهوا إلى برلين وأسّسوا في 21جويلية 1943م "مكتب المغرب العربي ".

وقد انتهز الفرنسيون فرصة رحيل القادة, فطلب الجنرال "**جوان** " قائد القوات المسلحة الفرنسيّة بشمال إفريقيا من المنصف باي تقديم استقالته,[1]وقرّروا تولية محمد الأمين باشا بايا على تونس, فرفض المنصف باي التنازل عن العرش, فقامت السلطات الفرنسيّة بنفيه إلى واحة الاغواط, وقد حاول عبد العزيز الثعالبي ورفاقه إبراز أهمية أزمة العرش وطالبوا بعودة الحاكم الشرعي, لكن قضاء الله كان اقرب إليه منهم فتوفي في منفاه في فرنسا سنة 1948م دون أن تسمح الظروف الدولية بإبراز مشكلة العرش التونسي.[2]

بعد نقل الباي إلى(**الاغواط**) في الصحراء الجزائرية ثمّ التوجّه به إلى(**تنس**) سنة 1943م, وبعد ذلك إلى مدينة (**بو**) بفرنسا في أكتوبر 1945م, وبقي هناك إلى أن وافته المنية سنة 1945م,[3]ورغم هذه الظروف استمرت الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية في نشاطها, وقد عمّت الاضطرابات الطلابية في تونس, وكان ردّ

[1]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص186.
[2]- جلال يحي, المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال, الجزء 3, الدار القومية للطباعة والنشر, الإسكندرية, 1966م, ص 187.
[3]- مجهول, اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية, منتدى الأزبكية, (د.م), 2001م, ص 69.

السّلطات كالعادة عنيفا حيث قضى على خمسة طلبة زيتونيون, وذلك بتهمة الدعاية ضدّ فرنسا والعمل داخل الحزب الدستوري الجديد, واثر ذلك برز نشاط " **جمعية الشبان المسلمين** " الّتي كسبت شعبية كبيرة في أوساط طلبة الزيتونة.

واستمرت فرنسا في البطش والتعذيب والقمع, وبذلك صمد الشعب التونسي رغم كل هذه الظروف السيئة الّتي أحاطت به, وقد سعى الوطنيون إلى تكوين لجنة وطنيّة في 30أكتوبر 1944م وضمّت 60عضوا, و بالتّالي عرفت **بلجنة الستين** وعلى إثرها تكوّنت " جبهة وطنيّة " وضمّت كلّ من الحزبين الدستوريين والحركة المنصفية, إضافة إلى مدرّسي جامع الزيتونة وممثلي الجالية اليهودية, وفي 13نوفمبر 1944م عقدت اجتماعا طالبت من خلاله بمنح الاستقلال لتونس, ولم يتم الإعلان عن النخبة إلاّ في 22فيفري 1945م.[1]

وما يمكن قوله أنّ السلطات الفرنسيّة قد ضيّقت الخناق عن الحركة الوطنيّة التونسيّة, وسعت للحدّ من نشاط الدستوريين وحاولت بكلّ ما تملك من قوّة أن تحدث اضطرابات عديدة داخل البلاد لقمع الشّعب والقضاء على الأحزاب الدستوريّة, وكان من أبرز الحوادث التي قامت بها حادثة " الطابور " في شهر أوت 1945م, وفيها تمّ هجوم جيش الطّابور على سكّان الشّعب التونسي وقتل العديد منهم واستمرّت هذه الحالة حتى بعد الحرب العالمية الثانية.[2]

[1]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص 117.
[2]- الحبيب ثامر, مصدر سابق, ص ص105-106.

المبحث الثالث: نتائج الحرب العالمية الثانية على العالم والحركة الوطنية التونسية

ناضلت الحركة الوطنيّة التونسيّة بكل شجاعة وقوة من أجل استرداد الحرية والاستقلال للبلاد, وقد شهدت خلال الحرب العالمية الثانية ظروفا قاسية نتيجة جرائم الاستعمار الّتي أودت بحياة الكثيرين إلى الهلاك, ولكن رغم ذلك بقي الشعب صامدا أمام هذا الوضع وتحدّى كلّ الصّعاب ليصل إلى مبتغاه.

وقد كان تأثير الحرب العالمية الثانية كبير على القادة الوطنيين, حيث شهدت تونس في تلك الفترة ما بين (1939-1945) مغادرة العديد من القادة السياسيين إلى خارج الوطن هروبا من الاضطهاد الفرنسي ومن أجل مواصلة نضالهم ضدّ العدو, وكان من أبرزهم: **الشيخ بيرم ومحمد السنوسي والعربي زروق وعلي باش حامبه الثعالبي والخضر حسين** وأخيرا **الحبيب بورقيبة** الّذي غادر إلى مصر كما ذكرنا سابقا, غادروا وهم متأملون أن يكون الدّفاع عن حقوق بلادهم واستعادة الاستقلال قد يكون أكثر فائدة من خلال النّضال خارج البلاد.[1]

غيّرت الحرب العالمية الثانيّة مجرى الأحداث في العالم وفي مختلف الدول خاصّة تونس, ومن هنا نستخلص النتائج المترتّبة عن الحرب:

أ-على المستوى الدولي:

- انتصار الحلفاء على النظام الديكتاتوري (**النازي والفاشي**) وتوازن القوى لفائدة الدول الّتي ظلّت تناضل من أجل الدّفاع عن الحريّة والديمقراطيّة والاستقلال,[2]وبالتالي إعلان حق الشعوب في تقرير مصيرها واحترام حقوق الإنسان الّتي انتهكت خلال الحرب, و بذلك اغتنم الوطنيون في كلّ البلدان التي

[1]- عبد الكريم غلاب, مرجع سابق, ص 329.
[2]- احمد القصاب, مرجع سابق, ص599.

مسّها الاستعمار الفرصة واتّخذوا هذه المبادئ في الدّفاع عن قضاياهم وطالبوا بالاستقلال وشمل ذلك لبنان وسوريا والهند واندونيسيا وغيرها من البلدان.[1]

- خروج معسكر الامبرياليّة منهكا فقد خرجت بلدان الفاشيّة الثلاثة (ألمانيا, ايطاليا, اليابان) مدمّرة اقتصاديّا وسياسيّا وعسكريّا, خاصة ألمانيا التي قسّمت وسيطرت الامبرياليّة الغربيّة على أكبر جزء منها, كذلك بالنّسبة لبريطانيا وفرنسا رغم انتصارهما, إلاّ أنّ الجانب الاقتصادي والعسكري لهما قد تقهقر وضاعت مكانتهما الدوليّة, وأصبحت بذلك الولايات المتحدة الأمريكيّة رائدة العالم.[2]

ب-على المستوى الوطني:

- قوّة واستمرار نشاط الحركة الوطنيّة التونسيّة وتعدّد التشكيلات السياسيّة, حيث ازداد نشاط الحزب الدستوري الجديد الّذي امتاز بتعدّد فروعه داخل البلاد, كذلك الحزب الدستوري القديم الّذي كان تحت لوائه أصوات البورجوازيّة التقليديّة, إضافة إلى بروز طلبة جامع الزيتونة الّذين كان لهم دور كبير في الحركة الوطنيّة.[3]
- تأسيس جامعة الدول العربيّة 22مارس1945م, حيث سعى من خلالها الوطنيّون إلى تدويل القضية الوطنيّة التونسيّة.[4]
- حلّ الحزب الدستوري القديم سنة 1944م وضعفه أمام التيّارات الجديدة.
- اتّساع نشاط الحركة العماليّة بعد الحرب, وكان من أبرز زعمائها **فرحات حشاد** الّذي قام بين سنة 1944و 1946م بتأسيس الإتّحاد العام للعمّال التونسيين.
- عقد مؤتمرات أهمّها المؤتمر الّذي عقد سنة1946م وعلى أثره عزم الشّعب التونسي على استرجاع سيادته الوطنيّة و الانضمام إلى جامعة الدول العربيّة و

[1]- محمد الهادي الشريف, مرجع سابق, ص129.
[2]- حمّة الهمامي, المجتمع التونسي دراسة اقتصادية اجتماعية, ط1, صامد للنشر والتوزيع, صفاقس, تونس, 1989م, ص 58.
[3]- محمد الهادي الشريف, مرجع سابق, ص130.
[4]- خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص118.

هيئة الأمم المتحدة, وفيه تمّ اتفاق الأحزاب الدستورية على إنشاء لجنة تنسيق مشتركة لتوجيه الحركة الوطنيّة توجيها صحيحا.[1]

- نشاط يوسف الرويسي التونسي أحد قادة مكتب المغرب العربي, حيث سافر إلى دمشق من اجل التعريف بقضيّة المغرب العربي, وذلك بواسطة المحاضرات والنوادي الثقافيّة...[2]
- ازدياد نفوذ صالح بن يوسف بعد الحرب العالميّة الثانية, بحيث طغى على اسم بورقيبة, و قد نظّم بن يوسف مؤتمرا وطنيا سنة 1946م, وشارك فيه ممثلون من اللّجنة التنفيذيّة للحزب الدستوري القديم واتّحاد نقابات العمال التونسيّة,إضافة إلى الموظّفين و طلبة جامع الزيتونة.[3]

[1]- زاهية قدورة, تاريخ العرب الحديث, دار النهضة العربية, بيروت, لبنان, (د.ت), ص 480.
[2]- دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر, مرجع سابق, ص 55.
[3]- جلال يحي, مرجع سابق, ص 129.

خاتمة

خاتمة:

وفي الختام يمكن القول أنّ الحركة الوطنيّة التونسيّة من سنة 1919م إلى سنة 1945م كانت حافلة بالإحداث التاريخيّة, ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع خلصنا إلى النتائج التّالية:

– تونس كباقي دول المغرب العربي تعرّضت للاحتلال الفرنسي 1881–1956م, حيث تمكّن الفرنسيون من الدخول إلى البلاد التونسية وانتهاج أساليب قمعيّة ضدّها للاستيلاء على أراضيها وثرواتها.

–إستغلال سلطة الحماية الفرنسيّة تونس من خلال معاهدتي باردو والمرسى وبنودهما, وإجبار باياتها للتوقيع عليهما وفقا لما يخدم مصالحها.

–مواصلة الشعب التونسي كفاحه ضدّ الحماية الفرنسيّة وعزمه على المواجهة من خلال المقاومات الشعبيّة المسلّحة التّي شملت عدّة مناطق من البلاد التونسيّة والتّي شاركت فيها مختلف الشرائح الوطنيّة.

–سعي السلطات الفرنسيّة إلى محو الشخصيّة الوطنيّة التونسيّة والقضاء على سيادتها.

–رغم ما حقّقته المقاومة المسلّحة من انتصارات إلاّ أنّها فشلت في إنهاء الوجود الفرنسي, وذلك نتيجة تفكّك القيادات الوطنيّة ومساندة البايات التونسيّين للحكومة الفرنسيّة, ما جعل الشّعب يلجا إلى أسلوب أخر في الكفاح تمثّل المقاومة السياسيّة من خلال تشكيل الأحزاب والجمعيات التّي لعبت دور فعّال في توعية الشباب التونسي.

–مساهمة الحرب العالمية الأولى في تطوّر النشاط السّياسي ما أدّى إلى تبلور الحركة الوطنيّة وظهور الحزب الحر الدستوري 1920م الّذي كان له دور كبير وفعّال في نشر الوعي الوطني والمطالبة بالاستقلال والحريّة, حيث تمكّن من توسيع نشاطه لدى الأوساط التونسيّة.

-بروز الثعالبي الشخصيّة القويّة وأبو الحركة الوطنيّة التونسي كزعيم للحزب الدستوري الحرّ, والّذي لعب فيه دور فعّال من خلال النشاطات الّتي قام بها في نضاله ضدّ المستعمر.

-ردّ فعل السلطات الفرنسيّة القويّ والعنيف على تأسيس الحزب الحر وسعيها إلى إخماده بكلّ الطّرق والوسائل.

-تراجع الحزب الدستوري الحر وبروز الحزب الدستوري الجديد سنة 1934م بزعامة الحبيب بورقيبة ونشوب صراعات قويّة بين الجيلين.

-نجاح بورقيبة الشخصيّة الشجاعة في تزعّمه للحزب الجديد ودعمه للقضيّة الوطنيّة التونسيّة.

-بالرّغم من الاعتقالات التّي شنّها الفرنسيون ضدّ القادة التونسيّين, إلاّ أنّ نشاط الحركة الوطنيّة قد ازداد أثناء الحرب العالميّة الثانيّة من خلال النشاطات الجمّة التّي قام بها الحزب الدستوري الجديد.

-انتعاش الحركة الوطنيّة التونسيّة باعتلاء المنصف باي العرش, واعتباره سندا قويّا للحركة الوطنيّة, ما أدّى بالفرنسيين إلى نفيه وعزله من منصبه.

-مغادرة الكثير من القادة التّونسيين إلى خارج الوطن لمواصلة كفاحهم ضدّ العدوّ والسعي للتعريف بالقضيّة التونسيّة بين دول العالم, وكان بورقيبة من بين هؤلاء القادة حيث غادر إلى القاهرة وأكمل نضاله هناك ليصبح صالح بن يوسف خلفا له في قيادة الحركة الوطنيّة التونسيّة.

-مشاركة طلبة جامع الزيتونة في الكفاح ضدّ المستعمر, حيث لعبوا دورا كبيرا في دعم الحركة الوطنيّة من خلال المشاركة في تنظيم المظاهرات وتقديم العرائض وغيرها من النشاطات الأخرى.

وبالتّالي فإنّ قادة الحركة الوطنيّة قد حقّقوا الكثير من الانتصارات, وبالرّغم من المشاكل التّي واجهتهم والأساليب الردعيّة التّي استخدمتها الحكومة الفرنسيّة ضدّهم, إلاّ أنّهم تمكّنوا من تجاوزها ومواصلة كفاحهم ضدّ المستعمر الفرنسي.

الملاحق

[1]

الملحق 01

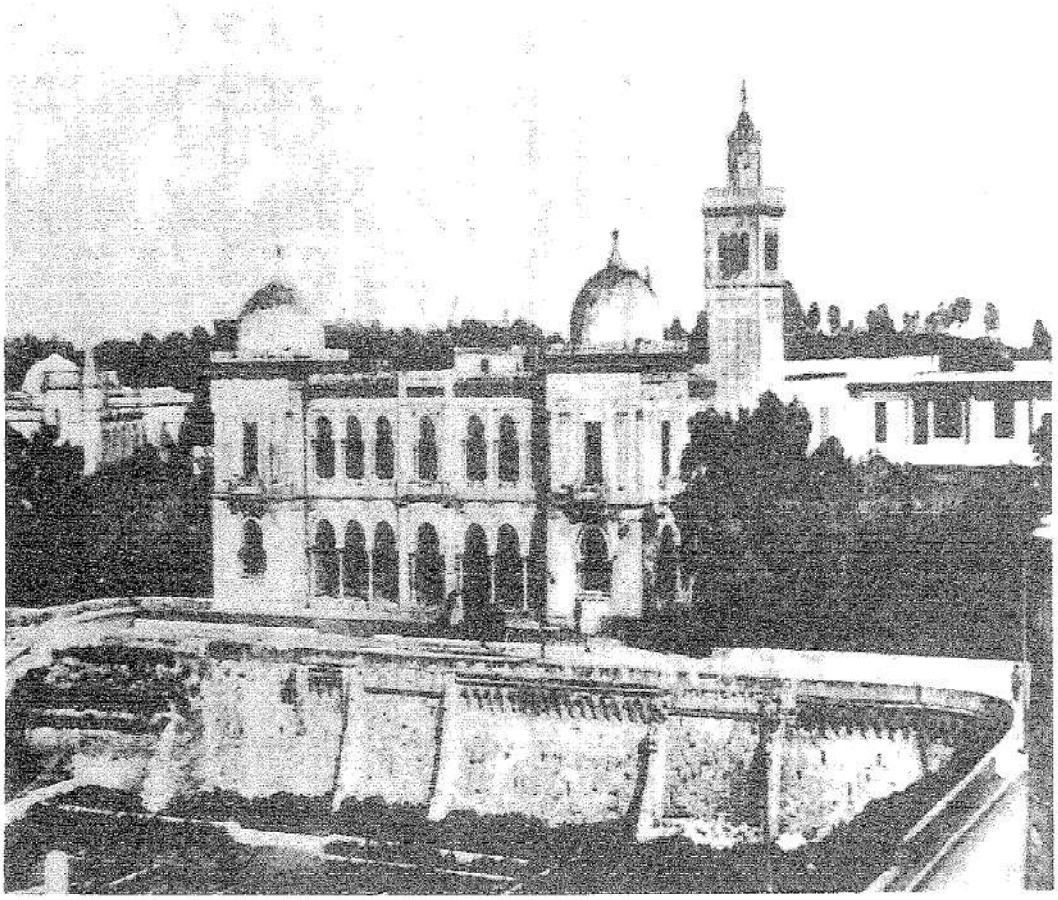

المدرسة الصادقية

[1] - محمد بن خوجة, مرجع سابق, ص 318.

[1]

الملحق 02

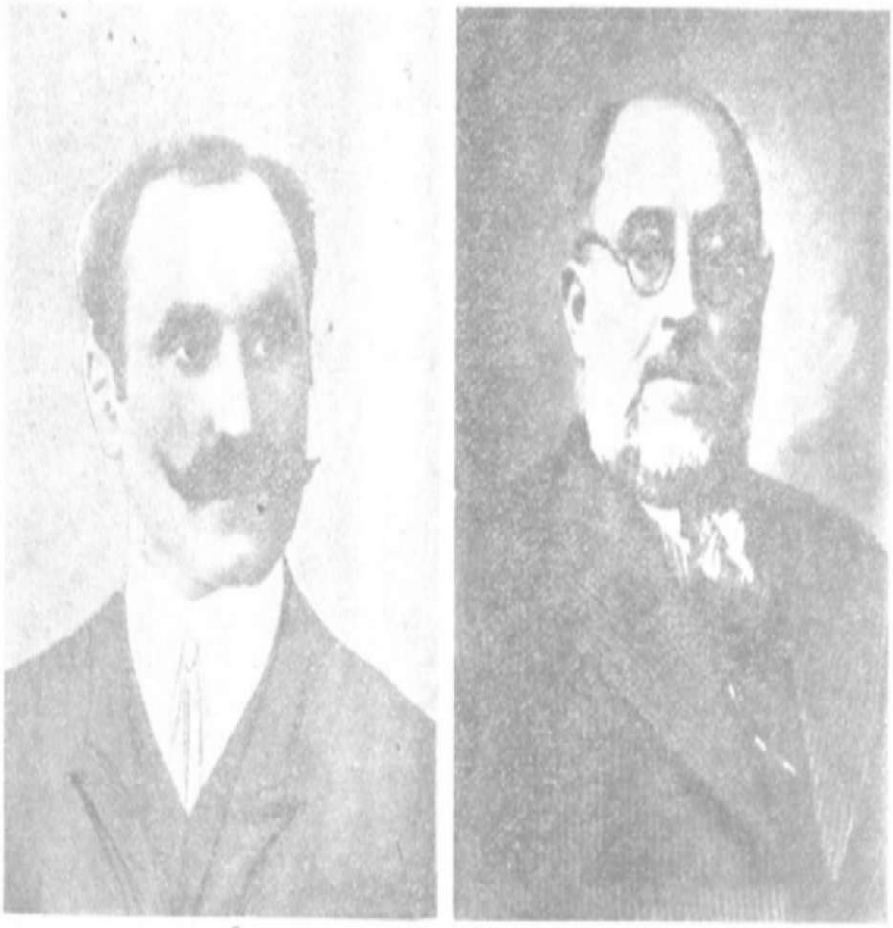

المغفور له الزعيم عبد العزيز الثعالبي

المغفور له الزعيم علي باش حامبه

[1] - الحبيب ثامر, مصدر سابق, ص 85.

[1]

الملحق 03

زعيم الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة

[1] - جذور الحركة الوطنية التونسية, مرجع سابق, ص 570.

[1]

الملحق 04

المظاهرة التي نظّمها الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد يوم 8 افريل 1938 (أمام مقرّ الإقامة العامة

[1] - خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص 110.

[1]

الملحق 05

اعتلاء المنصف باي العرش سنة 1942

[1] - خليفة الشاطر وآخرون, مرجع سابق, ص 115.

القائمة

البيبليوغرافية

قائمة البيبليوغرافيا:

1-المصادر:

1- الثعالبي عبد العزيز, تونس الشهيدة, ط1, دار القدس, بيروت, لبنان, 1975م.

2- بن خوجة محمد, صفحات من تاريخ تونس, تحقيق: حمادي الساحلي, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1986م.

3- ثامر الحبيب, هذه تونس, تحقيق: حمادي الساحلي, ط1, دار الغرب الإسلامي, لبنان, 1988م.

4- سعيد الصافي, بورقيبة سيرة شبه محرمة, ط1, رياض الريس للكتب والنشر, بيروت, 2000م.

2-المراجع:

1-إسماعيل حلمي محروس, تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى,(د.ط), مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, 2004م.

2-التيمومي الهادي, المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي, ط 1, المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون " بيت الحكمة ", تونس, 1999م.

3- التميمي عبد المالك خلف, الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي-فلسطين-الخليج العربي)دراسة تاريخية مقارنة, (د.ط), عالم المعرفة, الكويت, 1990م.

4- الجمل شوقي عطا الله, تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر, ط 2, دار الزهراء للنشر والتوزيع, الرياض, 2002م.

5-الجمل شوقي عطا الله, المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب), ط1, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, 1977م.

6-الجوهري يسرى, شمال افريقية, ط6, الهيئة المصرية العامة للكتب, الإسكندرية, 1980م.

7- الزمرلي الصادق, أعلام تونسيون, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1986م.

8-الشاطر خليفة وآخرون, تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال, الجزء 3, مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية, تونس, 2005م.

9-الشريف محمد الهادي, تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال, تعريب: محمد الشاوش, ط3, دار سراس للنشر, تونس, 1993م.

10-الشيخ رأفت, تاريخ العرب المعاصر, (د.ط), عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, (د.م), 1996م.

11- العجيلي التليلي, الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939), مجلد 2, منشورات الآداب بمنوبة, تونس, 1992م.

12-العقاد صلاح, المغرب العربي دراسة تاريخيه الحديث وأوضاعه المعاصر(الجزائر- تونس- المغرب الأقصى), مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, (د.ت).

13-العقاد صلاح, العرب والحرب العالمية الثانية, (د.ط), معهد الدراسات العربية العالمية, (د.م), 1966م.

14-الفاسي علال, الحركات الاستقلالية في المغرب العربي, ط6, مؤسسة علال الفاسي, الدار البيضاء, 2003م.

15-الفيلالي عبد الكريم, التاريخ السياسي للمغرب الكبير, الجزء 11, ط1, شركة ناس للطباعة, القاهرة, 2006م.

16-القصاب احمد, تاريخ تونس المعاصر(1881-1956), ترجمة: حمادي الساحلي, الشركة التونسية للنشر والتوزيع, تونس, 1986م.

17-المحجوبي علي, الحركة التونسية بين الحربين, المجلد2, منشورات الجامعة التونسية, 1986م.

18-المحجوبي علي, انتصاب الحماية الفرنسية في تونس, تعريب: عمر ضو, حليمة قرقوري, (د.ط), دار سراس للنشر, تونس, 1986م.

19-المحجوبي علي, جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934, تعريب: عبد الحميد الشابي, ط1, المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة", تونس, 1999م.

20-الهمامي حمة, المجتمع التونسي, دراسة اقتصادية اجتماعية, ط1, منشورات اللجنة الجهوية بسوسة, صامد للنشر والتوزيع, تونس, 1989م.

21-بنبلغيث الشيباني, الجيش التونسي في عهد الصادق باي (1859-1882), مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات, صفاقس, 1995م.

22-بن جراد بلقاسم بن محمد, قابس عبر التاريخ, (د.ط), المدرسة المرادية, 1999م.

23-بيضون جميل, تاريخ العرب الحديث, (د.ط), دار الأمل للنشر والتوزيع, (د.م), 1991م.

24-جوليان شارل أندري, إفريقيا الشمالية تسير القوميات والسيادة الفرنسية, ترجمة: المنجي سليم وآخرون, الدار التونسية للنشر, تونس, 1976م.

25-جوهر حسن محمد, تونس, (د.ط), دار المعارف, مصر, 1961م.

26-داهش محمد علي, المغرب العربي المعاصر(الاستمرارية والتغيير), ط1, الدار العربية للموسوعات, بيروت, لبنان, 2014م.

27-داهش محمد علي, دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر, مكتبة الكتاب الأكاديمي, عمان, (د.ت).

28–داهش محمد علي, دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في العربي, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 2004م.

29–درمونة يونس, تونس بين الاتجاهات, (د.ط), دار الكتاب العربي, مصر, 1953م.

30–رياض زاهر, استعمار إفريقيا, (د.ط), معهد الدراسات, القاهرة, 1965م.

31–شاكر أمين, شمال إفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل, (د.ط), دار المعارف, مصر, (د.ت).

32–طالبي محمد, في تاريخ افريقية, المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة", تونس, 1994م.

33–عبد الله الطاهر, الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة–1956 1830م, ط8, دار المعارف للطباعة والنشر, تونس, (د.ت).

34–عبد الوهاب حسن حسيني, خلاصة تاريخ تونس, ط3, دار الكتب العربية الشرقية, تونس, 1953م.

35–غلاب عبد الكريم, قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر, الجزء3, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 2005م.

36–قدورة زاهية, تاريخ العرب الحديث, دار النهضة العربية, بيروت, لبنان, (د.ت).

37–لوتسكي فلاديمير, تاريخ الأقطار العربية الحديث, ط8, دار الفارابي, بيروت, لبنان, 1985م.

38–محفوظ محمد, تراجم المؤلفين, الجزء1, ط2, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1994م.

39- محفوظ محمد, تراجم المؤلفين, الجزء2, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1982م.

40-محفوظ محمد, تراجم المؤلفين, الجزء5, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1986م.

41- مجهول, اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية, منتدى الأزبكية, (د.م), 2001م.

42- ياغي إسماعيل احمد, العالم العربي في التاريخ الحديث, ط1, مكتبة العابيكان, الرياض, 1997م.

43-يحي جلال, المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال, الجزء3, الدار القومية للطباعة والنشر, الإسكندرية, 1966م.

3-الدوريات:

1- التكريتي غيلان سمير طه, الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918-1939, مجلة آداب الفراهيدي, ع 13, ديسمبر 2013م.

2- سليمان محمد عصفور, الحماية الفرنسية على تونس عام1881والموقف العثماني والأوروبي منها, مجلة ديالي, ع56, العراق, 2012م.

3- شاوش حباسي, محطة في مسار الحركة الوطنية 1914-1920, مجلة الدراسات التاريخية, ع7, يصدرها معهد التاريخ , جامعة الجزائر, 1993م.

4-الرسائل الجامعية:

1-شايب قدادرة, الحزب الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري 1939-1954م دراسة مقارنة, أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة منتوري, قسنطينة, 2007م.

2-عبد الكريم عياشي, دور منطقة شمال إفريقيا في تغيير موازين القوى أثناء الحرب العالمية الثانية, رسالة ماجستير, جامعة الوادي, 2013م.

3- عبو نجاة, التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى احمد بن بلة و صالح بن يوسف" دراسة تاريخية مقارنة "1945-1961م, رسالة ماجستير, جامعة محمد بوضياف, المسيلة, 2014م.

4- معزة عز الدين, فرحات عباس والحبيب بورقيبة " دراسة تاريخية وفكرية مقارنة " 1899-2000, أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة منتوري, قسنطينة, 2010م.

5- مناصرية يوسف, الحزب الحر الدستوري التونسي (1919-1934), رسالة ماجستير, جامعة الجزائر, 1985م.

5-الموسوعات:

1-أبا الخيل راشد بن محمد, الموسوعة العربية العالمية, ط2, مؤسسة أعمال الموسوعة, الرياض, 1999م.

2-الكيالي عبد الوهاب, موسوعة السياسة, الجزء 1-2, دار الهدى للنشر والتوزيع, بيروت, (د.ت).

قائمة

المحتويات

البسملة

قائمة المحتويات

الشكر

الإهداء

مقدمة 1

مدخل تمهيدي: بوادر الحركة الوطنية التونسية

1-نظام الحماية الفرنسية على تونس 6

2-ردود الفعل الوطنية على نظام الحماية 10

الفصل الأول: الحركة الوطنية التونسية والحزب الدستوري الحر

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري الحر 1920 15

المبحث الثاني: المواقف الوطنية والفرنسية من تأسيس الحزب الحر 26

الفصل الثاني: الحزب الدستوري الجديد 1934-1939

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري الجديد 1934 31

المبحث الثاني: نشاط الحزب الدستوري الجديد 1934-1939م 35

ودور بورقيبة فيه

الفصل الثالث: الحركة الوطنية التونسية والحرب العالمية الثانية 1939-1945

المبحث الأول: دور التونسيين في الحرب العالمية الثانية 42

المبحث الثاني: موقف الفرنسيين من الحركة الوطنية التونسية 47

خلال الحرب العالمية الثانية

المبحث الثالث: نتائج الحرب العالمية الثانية على العالم والحركة الوطنية التونسية 49

خاتمة 53

الملاحق 57

القائمة البيبليوغرافية 63

تم بحمد الله